

الدليل والبرهان

على استحالة التعارض
والتناقض في كلام الرحمن



الشيخ الدكتور
سمير بن أحمد الصباغ



الدليل والبرهان
على استحالة التعارض والتناقض
في كلام الرحمن
د. سمير بن أحمد الصباغ



حقوق الطباعة مبدولة لعموم المسلمين

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م



الدليل والبرهان

على استحالة التعارض والتناقض في كلام الرحمن

نُبذ من كلام الأئمة

أحمد والطبري وابن كثير والشنقيطي رحمهم الله

جمعه فضيلة الشيخ الدكتور

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ

غفر الله له ولوالديه ولمشايقه وجميع المسلمين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا،
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنْ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَكُلِّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٍ، وَكُلِّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلِّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.



القرآن الكريم هو كلامُ الله الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ، وهو الكتابُ الذي لا ريبَ فيه هدىً للمتقين، وهو الكتابُ المبينُ، وهو الكتابُ المباركُ المهيمنُ على غيره من الكتبِ وهو حجةُ الله الباقيةُ على الخلقِ إلى قيامِ الساعة، فهو الوحيُ المختارُ لأهلِ الأرضِ، وهو الكتابُ المعصومُ الذي تكفلَ اللهُ بذاته العلية بحفظه، {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُو لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩].

وليس فيه أدنى تعارضٍ أو اختلافٍ؛ قال اللهُ تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: ٨٢].

فمنَ تدبرَ القرآنَ وفهمه على فهمِ السلفِ الصالح - النبي ﷺ وأصحابه ﷺ - علمَ أنه كلامُ الله المعصومُ الذي ليس فيه اختلافٌ ولا تعارضٌ، وكلامُ الله تعالى أخبارٌ وأحكامٌ، ويستحيلُ أن يكونَ في أخبارِ الله تعارضٌ، قال تعالى: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} [النساء: ١٢٢]، وقال: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} [النساء: ٨٧].

كما يستحيلُ أن يقعَ التعارضُ في أحكامِ الله، ولو ظهر تعارضٌ بين حُكَمَيْنِ من الأحكامِ، فأحدهما يكونُ ناسخًا، والآخرُ يكونُ منسوخًا، قال تعالى: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: ١٠٦].



الدليل والبرهان

٣

وهذا أمرٌ لا يخفى على العلماء وطلاب العلم المجتهدين، أما الجاهل فإذا وجد ما يوهّم التعارض فالتعارض في جهله وقلة فهمه، وليس في كلام الله عز وجل، ولذلك وجب عليه أن يرجع إلى أهل العلم وأن يكِل الأمر إلى عالمه: { فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النحل: ٤٣].

وأما المنافق والزنديق والكافر فهو يطعن في كلام الله، ويدّعي تناقضه بغير حجة ولا برهان، وما هي إلا أكاذيب اخترعوها؛ ليشكّوا الناس في القرآن، ويصدّوهم عن دين الله، قال سبحانه: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ } [الأنفال: ٣٦].

وقال تعالى: { يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } [التوبة: ٣٢].

ولو كان في القرآن تناقض لأثاره أعداء الإسلام قديماً من العرب الذين كذبوا رسول الله ﷺ، فقد قالوا عن رسول الله ﷺ: ساحرٌ وكذابٌ، ومجنونٌ، وكاهنٌ، وشاعرٌ؛ ولم يدّعوا أبداً أن في كتاب الله تعارضاً أو تناقضاً، وكانوا أعلم الناس باللغة والشعر والنثر والمعاني؛ بل إنهم جميعاً شهدوا بفصاحته وحلاوته، ثم آمنوا وأسلموا، وحفظوا القرآن والسنة، وحملوا راية التوحيد والسنة والقرآن العظيم.



على استحالة التعارض والتناقض في كلام الرحمن



وَسَنبِيْنُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا الرِّسَالَةِ الْيَسِيرَةِ الْمَخْتَصِرَةِ بَعْضَ هَذِهِ
الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي ادَّعَى الزَّنادِقَةُ وَالْمَلَا حِدَةُ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَى وَالشَّيُوعِيِّينَ أَنَّ فِي ظَاهِرِهَا تَعَارُضًا أَوْ تَنَاقُضًا، وَنَبِيْنُ الْمَعْنَى الصَّحِيحَ
لِكُلِّ آيَةٍ، وَأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ فِي كَلَامِ اللَّهِ تَعَارُضٌ أَوْ تَنَاقُضٌ، وَهَذَا الْبَابُ مِنْ
أَهَمِّ أَبْوَابِ عُلُومِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَصُولِ تَفْسِيرِهِ، وَلِذَلِكَ كَانَ عِلْمُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ
هُوَ أَجَلُّ الْعُلُومِ بِإِطْلَاقٍ؛ لِأَنَّهُ فِيهِ بَيَانٌ مُرَادِ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَإِزَالَةٌ الْجَهْلِ عَنِ
الْجَاهِلِينَ، وَالشُّبْهِ عَنِ الْغَافِلِينَ.

فَأَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ اسْتَغْلَوْا جَهْلَ الْمُسْلِمِينَ بِدِينِهِمْ وَلَغَتْهِمْ وَشِدَّةَ ضَعْفِهِمْ،
فَاجْتَهَدُوا فِي صَدِّ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامِ بِالطَّعْنِ كَذِبًا وَزُورًا بِادِّعَاءِ
التَّنَاقُضِ وَالتَّعَارُضِ فِي نصوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَقَدْ اعْتَمَدْنَا فِي جَمْعِ هَذَا الرِّسَالَةِ عَلَى كَلَامِ الْأُئِمَّةِ أئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ
وَالْجَمَاعَةِ، وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالْإِمَامُ الطَّبْرِيُّ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَالشَّنْقِيطِيُّ، رَحِمَهُ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ!

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُفَقِّهَنَا فِي الدِّينِ، وَأَنْ يُعَلِّمَنَا التَّأْوِيلَ وَالْحِكْمَةَ وَالْكِتَابَ،
وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ الْعَالِمِينَ الْعَامِلِينَ بِهِ، الْمُعَلِّمِينَ لَهُ، الدَّاعِينَ إِلَيْهِ،
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ!



١ - معنى تبديل الجلود في القيامة:

قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: ٥٦]: زعمت الزنادقة أن هذا ظلم من الله لهذه الجلود الجديدة المبدلة، وقالوا: إنها جلود لم تُذنب، فكيف تُعذب؟! فشككوا في القرآن، وزعموا أن في ذلك تناقضًا؟

الجواب على هذه الكذبة:

أن قول الله تعالى: {بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ} ليس معناه جلودًا غير جلودهم، وإنما المعنى تجديد الجلود ذاتها بعد نضوجها واحتراقها^(١)؛ وذلك بأن تُردَّ الجلود إلى الحال التي كانت عليها غير محترقة^(٢)، فكما أن الله تعالى أحيا العظام وهي رميم، فكذلك يحيي هذه الجلود مرة بعد مرة لتذوق العذاب.

(١) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل (١/٧).

(٢) حقيقة الإعجاز في الإحساس بالألم بين الطب والقرآن، مقال منشور بتاريخ ٢٠١٢/١٠/١٩ شبكة الإنترنت.



ولقد كشف العلم الحديث أن النهايات العصبية المتخصصة للإحساس بالحرارة وألام الحرق لا توجد بكثافة إلا في الجلد.

وما كان بوسع أحد من البشر قبل اختراع المجهر وتقديم علم التشريح الدقيق أن يعرف هذه الحقيقة التي أشار إليها القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً.

ولا يكون استمرار الإحساس بالعذاب في الجلد إذا نضج إلا بتجديده مرة أخرى^(١).

وهذا من الإعجاز العلمي الذي يثبت أن القرآن كلام الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.

٢ - النطق وعدمه في القيامة:

هل هناك تعارض بين قوله تعالى عن حال الكفار في القيامة: {هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ} ٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} ٣٦ [المسلات: ٣٥: ٣٦]، وقوله: {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّا أُولَٰئِهِمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} ٩٧ [الإسراء: ٩٧]؛ فقد أثبت أنهم صُم لا ينطقون.

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي (١/ ٢٦٩).



وبين قوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} [الزمر: ٣١]، وقوله: {وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾} [الأعراف: ٥٠]، وقوله تعالى: {وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٥٤﴾} [الأعراف: ٤٤]؛ فأثبت أنهم يتكلمون وينادون؟

فقد زعمت الزنادقة أن هناك تعارضاً في القرآن، فشكوا فيه وشككوا غيرهم من الجهالة ومرضى القلوب.

والجواب:

يستحيل أن يكون هناك أي تعارض في القرآن الكريم؛ لأنه كلام الله العزيز الحكيم الذي قال: {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾} [فصلت: ٤١: ٤٢]، وقال عنه: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾} [النساء: ٨٢].

وأما بيان ذلك باختصار فإنهم في الأصل لا يقدرّون على النطق والكلام ولا المخاصمة إلا إذا أذن لهم الله بذلك، فقوله تعالى: {هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾}: هم عند بعثهم من قبورهم لا ينطقون، ولا يؤذن لهم



في الاعتذار؛ لأنه يومٌ {تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢} [الحج: ٢].

ثم يُؤذَنُ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ فيقولون: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة: ١٢]، ويقولون: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّحِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ ۝٤٤} [إبراهيم: ٤٤]، ويتبرأ بعضهم من بعضٍ: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝١٦٦} وقال الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرَّرَ فَتَبَرَّأْنَا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة: ١٦٧].

ويقولون: {رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ} [المؤمنون: ١٠٦].

وينادون: {وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۝٧٧} [الزخرف: ٧٧].

ويختصمون: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} [الزمر: ٣١].

حتى يُقَالَ لَهُمْ: {لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ} [ق: ٢٨].

ويُقال: {أَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ} [المؤمنون: ١٠٨].



فهم لا ينطقون ولا يتكلمون، ولا يختصمون إلا بإذن الله، كما قال الله تعالى: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النبا: ٣٨].

فالقيامة مواطن، في بعضها ينطقون بإذن من الله، وفي بعضها لا ينطقون^(١).

قال الله تعالى: {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} ٥٠ {قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ} ٥١ {يَقُولُ أَهِنَّكَ لِمَنِ الْمُسَدِّقِينَ} ٥٢ {أَعِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَا لَمَدِينُونَ} ٥٣ {قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطْلِعُونَ} ٥٤ {فَأَطْلَعَ فَرَعَاةً فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ} ٥٥ {قَالَ تَأَلَّهَ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ} ٥٦ {وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} [الصافات].

وقال الله تعالى: {وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ} ٥٠ [الأعراف: ٥٠].

وقال تعالى: {وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيَّتَنِ اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا} ٢٧ {يَوَيْلَ لِّيَ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا} ٢٨ {لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي} ٢٩ {وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا} ٣٠ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

(١) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد (ص ١٧٦-١٧٧).



وكذلك يتكلمون في غير ذلك من مواقف النطقِ والحسرةِ والندامةِ.

٣- بيان الجمع بين تساؤل أهل القيامة وعدمه:

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون: ١٠١]، وبين قوله تعالى: {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} [الصفات: ٥٠]؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض؛ لأن معنى قوله تعالى: {فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ}، يكون عند النفخة الثانية، فالأولى للصَّعق، والثانية للبعث؛ فعند القيام والبعث من القبور ترى الكل يقول: «نفسي نفسي»، حتى الأنبياء والرسل، الكل يفرُّ بعضه من بعض: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ③٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ③٥ وَصَدِيقَتِهِ وَبَنِيهِ ③٦ لِكُلِّ أُمْرٍي مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}، فإذا حوسبوا ودخلوا الجنة أو النار أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، كما ذكر الله عن حال أهل الجنة والنار في سورة الأعراف: {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ}.

ويقول عن صاحب صورة الصفات: {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} ⑤٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ⑤١ يَقُولُ أَأَتَكَ لِمَنِ الْمَصَدِّقِينَ ⑤٢ أَعِذَا



مِثْنًا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْلًا أَعْيَانًا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَظْلَعَ قَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ}.

وقال تعالى في سورة المدثر: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَاطِئِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ} ^(١).

٤ - هل القرآن ذم المصلين أم غير المصلين؟

هل هناك تعارض بين قوله تعالى في ذم المصلين: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ}، وقوله تعالى: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ}، فكيف يكون المصلون وغير المصلين في النار؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض بين هذا وذاك؛ لأن قول الله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾} هو في المنافقين الذين يُظهرون الإسلام ويُبطنون الكفر،

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، للعلامة محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة السنة،

القاهرة، سنة ٢٠١٦ (ص ٣٦٧).



وَلَا يُصَلُّونَ إِلَّا رِيَاءً وَسُمْعَةً، كما وصفهم الله بأنهم يُرَاوُونَ، وَيُؤْخِرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا، وَيُصَلُّونَهَا بَعْدَ ذَهَابِ وَقْتِهَا فَقَطْ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ.

وأما قوله تعالى في سؤال المؤمنين الكافرين: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ؟} فأجاب الكفار وقالوا: {لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ}؛ أي: لم نَكُ من المسلمين الموحدين الذين يُصَلُّونَ لله رب العالمين.

وأما المصلون المسلمون المخلصون، فهم كما وصفهم الله: {المفلحون الذين يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}، قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَادِعُونَ...}، إلى أن قال: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

فليس في كلام الله تعارض؛ بل هو مُحْكَمٌ كُلُّهُ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد.

٥- هل الإنسانُ خُلِقَ مِنْ تَرَابٍ أَمْ مِنْ طِينٍ أَمْ مِنْ صَلْصَالٍ؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ}، وقوله: {إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ}، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ} [الحجر: ٢٦]، وقوله: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} [الرحمن: ١٤]، وقوله: {خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}، وقوله: {خَلَقْنَاكُمْ مِنْ



ذَكَرٍ وَأُنْثَى}.

الجواب: كُلُّ هذه الآياتِ تُخْبِرُ عن بدءِ خَلْقِ آدَمَ وذَرِيَّتِهِ، فأوَّلُ خَلْقِ آدَمَ كان من ترابٍ، كما قال اللهُ تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ وَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾} [آل عمران: ٥٩].

أُتْرِبَةُ مُخْتَلِطَةٌ: حمراءُ وسوداءُ وبيضاءُ، طيبةٌ وسبخةٌ، كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبْضُهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ»^(١).

ثم بَلَّ ذلك الترابَ بالماءِ، فصار طِينًا، لَصِقَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، فصار لَزِيبًا؛ أي: لاصقًا.

ثم نَتَنَ هذا الطينُ فصار حمًّا مَسْنُونًا، فخلَقَ آدَمُ من الحمِّ، فلما جَفَّ صار صلصالًا كالفَخَّارِ، له دويٌّ كدويِّ الفَخَّارِ.

ثم نَفَخَ اللهُ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، فصار إنسانًا حيًّا ناطقًا سميعًا بصيرًا، وكان نفسًا واحدةً، ثم خَلَقَ حَوَاءَ مِنْ ضِلْعِهِ، وجعلَهَا زَوْجًا لَهُ، فصارَا زَوْجَيْنِ، ثم خَلَقَ مِنْهُمَا أَبْنَاءَهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى.

(١) أخرجه أحمد (١٩٦٤٢)، وأبو داود (٤٦٩٣).



وجعل أصل خلقهم الماء؛ وهو النطفة، ثم جعل هذه النطفة علقة، ثم مضغة، ثم عظاماً، ثم كسا العظام لحماً، ثم كان خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين!

قال الشنقيطي: إنه ذكر أطوار ذلك التراب، فذكر طورَه الأول بقوله: {مِنْ تَرَابٍ}، ثم بُلّ فصار طيناً لازباً، ثم خُمِرَ فصار حمّاً مسنوناً، ثم يَسِرَ فصار صلصالاً كالْفَخَّارِ^(١).

٦ - هل الله هو ربُّ المشرق أم المشرقين أم المَغارِبِ والمَغارِبِ؟

هل هناك تعارض بين قولِ الله تعالى: {قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾} [الشعراء: ٢٨]، وقوله تعالى: {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾} [الرحمن: ١٧]، وقوله: {فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴿٤٠﴾} [المعارج: ٤٠]؟

الجواب: أنه ليس هناك أدنى تعارض بين هذه الآيات؛ فالمقصودُ بالمشرق والمغرب هو عمومُ مشرق الأرض ومغربها.

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب (ص ١٣١).



والمقصودُ بالْمَشْرِقَيْنِ والمَغْرِبَيْنِ هما مشرقٌ ومغربُ الصَّيْفِ ومشرقٌ ومغربُ الشتاء، والمقصودُ بالمُشَارِقِ والمُغَارِبِ، مُشَارِقُ الأيامِ ومُغَارِبُهَا، فكلُّ يومٍ له مطلعٌ ووقتٌ للشروقِ والغروب^(١).

٧-يَوْمٌ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَيَوْمٌ مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ:

هل هناك تعارض بين قولِ الله تعالى: {وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} [الحج:٤٧]، وقوله: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} [السجدة:٥]، وبين قوله تعالى: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج:٤]؟

الجواب: يُنْظَرُ إِلَى كُلِّ آيَةٍ فِي مَوْضِعِهَا وَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْنَى الْمُرَادِ مِنَ اللَّهِ لَخَلْقِهِ، ففِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَجِّ: {وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ}: فِهَذَا مِنَ الْأَيَّامِ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ فِيهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، خَلَقَهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، كُلُّ يَوْمٍ مِقْدَارُهُ أَلْفُ سَنَةٍ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ}: وَذَلِكَ أَنَّ جَبْرِيلَ

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٥٥، ٥٦).



كان ينزل إلى النبي ﷺ ويصعد إلى السماء في يومٍ كان مقداره ألف سنة؛ وذلك أن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمس مئة سنة، فهبوط خمس مئة عام، وصعود خمس مئة عام، فذلك ألف سنة.

أي: أنه يهبط ويصعد في لحظة بأمر الله تعالى؛ ولكن هذا الصعود والهبوط لو قيس بسنواتكم فإنه يعادل ألف سنة.

وأما قوله في سورة المعارج: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}؛ أي: لو ولي حساب الخلائق غير الله ما فرغ منه في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، ويفرغ الله منه على مقدار نصف يومٍ من أيام الدنيا، إذا أخذ في حساب الخلائق، فذلك قوله: {وَكَفَىٰ بِنَا حَسِبِينَ} (٤٧) [الأنبياء: ٤٧]؛ أي: لسرعة الحساب^(١).

وقال الشنقيطي الأمين:

الوجه الثاني: أن المراد بجميعها يوم القيامة، وأن الاختلاف باعتبار حال المؤمن والكافر، ويدل على هذا قوله تعالى: {فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ} (١٠) [المدثر: ٩-١٠]^(٢).

(١) انظر: الرد على الزنادقة للإمام أحمد (ص ١٨١-١٨٢).

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب (ص ٢٧١).



والذي يظهر رُجْحَانُهُ أَنْ كُلَّ آيَةٍ يَكُونُ مَعْنَاهَا حَسَبَ السِّيَاقِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ.

٨- ولا يكتُمون الله حديثًا:

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: ٢٣]، وبين قوله تعالى: {وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾} [النساء: ٤٢]؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض بين الآيتين؛ إذ إن الآية الأولى تبيِّن حال أهل الشرك في القيامة حينما يَرَوْنَ أَنَّ الله تعالى يتجاوز عن أهل التوحيد، ويدخلهم الجنة برحمته، فيَكْذِبُونَ على الله، ويرجون النجاة من العذاب، فيقولون: {وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}، فيَحْتِمُ الله على أفواههم، وتكلم أيديهم وأرجلهم وألسنتهم بما كانوا يعملون، فحينئذ لا يكتُمون الله حديثًا.

قال تعالى: {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾} [يس: ٦٥]، وقال: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾} [النور: ٢٤] ^(١).

(١) انظر: الرد على الزنادقة (ص ١٨٢-١٨٣)، دفع إيهام الاضطراب (ص ١٣١).



٩- مدة مكث الكفار في القبور حسب زعمهم:

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِئُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾} [الروم: ٥٥]، وقوله تعالى: {يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٣﴾} [طه: ١٣]، وقوله تعالى: {إِذْ يَقُولُ آمَثْلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٤﴾} [طه: ١٤]، وقوله: {قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾} [المؤمنون: ١٤]؟

الجواب: نقول كما قال الإمام أحمد^(١): أما قوله: {يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٣﴾} [طه: ١٣]: يقولون ذلك إذا خرجوا من قبورهم، فنظروا إلى ما كانوا يكذبون به من أمر البعث، فقال بعضهم لبعض: إن لبثتم في القبور إلا عشر ليالٍ، ثم استكثروا العشر فقالوا: {إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٤﴾}، ثم استكثروا اليوم فقالوا: {إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا}.

١٠- شهادة الرُّسل على الأمم:

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٧٩﴾} [المائدة: ١٧٩]، وبين قوله تعالى: {وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾}

(١) انظر: الرد على الزنادقة (ص ١٨٢-١٨٣).



[هود: ١٨]، وقوله: {وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ} [النحل: ٨٩]، وقوله تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} [النساء: ٤١]؛ ففي الآية الأولى نجد أنهم لا يشهدون؛ بل يقولون: {لَا عِلْمَ لَنَا}، وفي الآيات الأخرى نجد أنهم يشهدون ويقولون؟

الجواب: قولهم: {لَا عِلْمَ لَنَا}؛ أي: أنت يا ربِّ أعلمُ بهم منا، فأنت سبحانه علام الغيوب المطلع على السرائر وما تخفي الضمائر، وعلمنا بجانب علمك لا شيء.

قيل: إنهم من شدة هول القيامة في أول الأمر تذهب عقولهم، فيقولون: لا علم لنا، ثم لما نزع الله عنهم هذا الخوف من جهنم فإينهم يُجيئون ويقولون: {هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ} ^(١).

١١ - رؤية الله بالأبصار:

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ} ٢٢ إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ} [القيامة: ٢٢-٢٣]، وقوله تعالى: {لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} [الأنعام: ١٠٣]؟

(١) انظر: الإمام أحمد. مرجع سابق (ص ١٨٤).



الجواب: ليس هناك أدنى تعارض، وذلك من جهتين:

الأولى: أن رؤية الله في الدنيا مستحيلة، فعندما قال موسى ﷺ: {رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي}، ولَمَّا سئِلَ النبي ﷺ عن رؤية ربه في الإسراء، هل رأيت ربك؟ قال: «نورٌ أتى أراه». وقال ﷺ: «رَأَيْتُ نُورًا»؛ أي: الحجاب الذي بين الله وبين خلقه؛ لقول النبي ﷺ: «حِجَابُهُ النُّور»^(١).

وأما رؤيته جل وعلا في الآخرة لأهل الجنة فهي أعظم نعيم لهم، وهي قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾} [القيامة: ٢٢-٢٣]، وقول النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤُوسِهِ»^(٢).

وقال النبي ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَىٰ مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، هَلْ تَرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ يَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا أَلَمْ تَبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، أَلَمْ تُجِرْنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَيَرَوْنَ رَبَّهُمْ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَكْبَرَ وَلَا أَفْضَلَ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَىٰ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (١٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٨١).



الثانية: أن الرؤية غير الإدراك، فأهل الجنة سيرون ربهم في الجنة كما أخبر الله رسوله ﷺ، ولا يلزم من النظر إلى وجه الله أنهم يدركون كنهه الله وصورته^(١).

١٢ - مَنْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى عن موسى ﷺ: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: ١٤٣]؛ فموسى هنا قال: إنه أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ، وحينما آمن السحرة بموسى ﷺ قالوا: {إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ٥١].

وقال الله تعالى للنبي محمد ﷺ: {قُلْ إِن صَلَائِي وَنُفْسِي وَفَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [١٦٢] لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [١٦٣] [الأنعام: ١٦٢: ١٦٣].

فَمَنْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ آدَمُ وَإِبْرَاهِيمُ ﷺ وَمَنْ كَانُوا قَبْلَ مُوسَى وَمُحَمَّدٍ ﷺ؟ أم المذكورون؟ ثم مَنْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ؟ أهو موسى ﷺ أم السحرة المؤمنون أم النبي محمد ﷺ، وهل هناك تعارض؟

(١) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٢٥٢، الرد على الزنادقة (ص ١٨٦)، دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٧٦).



الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ، فقولُه عن موسى ﷺ: «إنه أول المؤمنين»؛ أي: هو أول المُصَدِّقِينَ في أُمَّتِهِ بأن الله لا يراه أحدٌ في هذه الدنيا، وأن الله تعالى حجابُه بينه وبين خلقه النور، لو خرَّقه لأحرقت سُبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصرُه من خلقه، وقولُه عن السَّحرة الذين آمنوا أنهم أول المؤمنين؛ أي: هم أول المؤمنين بموسى ﷺ من أهل مصر؛ أي: هم أول المُصَدِّقِينَ بنبوَّتِهِ ورسالتِهِ، وأما قولُه سبحانه عن نبيِّه محمدٍ ﷺ: {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}؛ أي: من أهل مكة؛ أي: أول المؤمنين المستسلمين لله تعالى ودينه ورسالته ووحيه وتشريعِه.

ثم تبعه بعد ذلك أصحابُه وأتباعُه^(١).

١٣ - مَنْ مِنْ هَؤُلَاءِ أَشَدُّ عَذَابًا؟

هل هناك تعارضٌ بين قولِ الله تعالى في حقِّ آلِ فرعونَ: {الَّتَارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: ٤٦]، وقولِه عز وجل لعيسى بنِ مريمَ ﷺ عندما طلب منه الحواريُّون أن يسأل الله أن يُنزِّلَ عليهم مائدةً من السماء: {قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ} [١١٥]

(١) انظر: الرد على الزنادقة، مرجع سابق (ص ١٨٧).



[المائدة: ١١٥]، وقال الله في حق المنافقين: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ

وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾} [النساء: ١٤٥]؟

الجواب: ليس بين هذه الآيات أدنى تعارضٍ، فما المانع أن يكونوا جميعاً في أشدّ العذاب؟! ويكون كلٌّ على حسب كفره وفجوره، فالفرعون كفروا بالله، وأتبعوا فرعون، فأوردتهم سوء العذاب، والمنافقون كفروا بالله، وأفسدوا في أرض الله، فكانوا في الدرك الأسفل من النار، وأتباع عيسى توعّد الله من كفر منهم بالله بعد قيام الحجة عليه بالعذاب الأليم.

وقوله تعالى: {فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾} [المائدة: ١١٥]؛ أي: من العالمين في أهل ذلك الزمان.

فليس هناك أدنى تعارضٍ لا شرعاً ولا عقلاً حينما يكون المتوعّد بأشدّ العذاب أصنافاً متعددة وفي أزمان مختلفة. والله أعلم^(١).

١٤ - طعام أهل النار:

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى عن أهل النار وطعامهم فيها: {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾} [الغاشية: ٦]، وبين قوله تعالى: {إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾}

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٧٠).



طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ { [الدخان: ٤٣، ٤٤]، وقوله: { فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ ﴿٣٦﴾ } [الحاقة: ٣٥-٣٦]؛ يعني: هل طعامهم هو الصَّرِيعُ أم الزَّقُومُ أم الغِسلين؟

والصَّرِيعُ: هو الشوكُّ اليابس، والزَّقُومُ: شجرةٌ مَرَّةٌ تَنْبِتُ في جهنم؛ وهي تعذيبٌ للعصاة والمجرمين، وطعامٌ لهم يغلي في بطونهم، والغِسلين هو صديدُ أهل النار.

الجواب: أنه لا تعارض، فجهنم لها سبعة أبواب، لكل بابٍ منهم جزءٌ مقسوم، وهي دركات، لكل دَرَكٍ منها ألوانٌ من العذاب، فالعذابُ في جهنم أشكالٌ وألوانٌ، والمعذبون فيها طبقاتٌ ودَرَكاتٌ، فمنهم مَنْ لا طعامَ له إلا الصَّرِيعُ، ومنهم مَنْ لا طعامَ له إلا الغِسلين، ومنهم مَنْ لا طعامَ له إلا الزَّقُومُ، ومنهم مَنْ يَطْعَمُ مِنْ هذا وذاك؛ فلا تعارض ولا إشكال^(١).

رَزَقَنَا اللهُ الْعِلْمَ النَّافِعَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَأَنْجَانَا مِنَ النَّارِ، وَأَدْخَلَنَا الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ!

(١) انظر: الامام أحمد مرجع سابق (ص ١٨٨)، و دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٣٦٢-٣٦٣).



وَمَنْ اعْتَرَضَ عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ فَسَوْفَ يَرَىٰ بِنَفْسِهِ وَهُوَ فِي جَهَنَّمَ هَذِهِ الْأَصْنَافَ وَيَعْلَمُ هَذِهِ الْمَعَانِي!

١٥ - هل الله مولى الكافرين؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ} [محمد: ١١]، فنفى الله ولايته للكافرين، وقوله تعالى: {ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ} [الأنعام: ٦٢]، وقوله: {هُنَالِكَ تَبْلَوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [يونس: ٣٠]، فهنا أثبت الله أنه مولاهم الحق.

فهل هذا تناقض في كلام الله؟

الجواب: يستحيل أن يكون في كلام الله تناقض أو تعارض، فولاية الله لخلقهِ نوعان:

ولاية عامة: وهي ولاية المليك والتصرف.

وولاية خاصة: وهي ولاية المحبة والنصر والتأييد.



فقله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا}؛ أي: مُحِبُّهُمْ وناصِرُهُمْ،
وَمُوقِّعُهُمْ ومُثَبِّتُهُمْ على دينه، {وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۖ}؛ أي: ليس لهم
من الله هذه الولاية، فالله لا يحبُّ الكافرين، ولا يحفظُهم على دينه.

وأما قوله تعالى: {وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ}؛ أي: مالِكُهم وخالقُهم
والمتصرفُ فيهم سبحانه وتعالى^(١).

فأين التعارض والتناقض؟!

١٦-المقسطون، والقاسطون:

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۖ} [الحجرات: ٩]، وبين قوله تعالى: {وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۖ} [الجن: ١٥]؟

الجواب: لا تعارض البتة بين الآيتين؛ لأن القاسط هو الجائر الظالم، وأما
المُقسطُ فهو المؤمنُ العادلُ العاقل، فالله يحبُّ المقسطين؛ أي: الصالحين
العادلين المستقيمين على منهج الله.

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٧٢)، الإمام أحمد مرجع سابق (ص ١٨٩).



وأما القاسطون الكفارُ الفُسَّاقُ الظالمون فهم حطَّبُ جهنَّمَ^(١)، وقولُ الله تعالى: {أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ} [النمل: ٦٠]؛ فمعنى «يعدلون»؛ أي: يُشْرِكُونَ وَيَجُورُونَ.

جعلوا الأصنامَ والشمسَ والقمرَ والنجومَ معبوداتٍ لهم مِن دون الله، فعَدَلُوها بالله وساوَوْها به، وأشركوها معه في الربوبيةِ والألوهيةِ، وهذا قمةُ الظلم والجورِ والسَّفه^(٢).

١٧ - ولاية المؤمنين بعضهم بعضاً:

هل هناك تعارضٌ بين قولِ الله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [التوبة: ٧١]، وقوله سبحانه: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِمْ مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا} [الأنفال: ٧٢]؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ ولا إشكالٍ، فمعنى قوله تعالى: {بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}؛ أي: أن المؤمنَ يتولى المؤمنَ في دينه، يُحِبُّهُ وَيُنَاصِرُهُ عليه.

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٣٦٤)، الإمام أحمد (ص ١٨٩).

(٢) انظر: الرد على الزنادقة (ص ١٩٠).



وأما قوله تعالى: {مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا} : فهذه في ولاية الميراث؛ أي: ما لكم من ميراثهم من شيء حتى يُهاجروا، فكان عدم الهجرة من موانع الميراث حينئذٍ، ثم نُسَخَ ذلك بقوله تعالى: {وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ} [الأحزاب: ٦].

فالولاية المثبتة: ولاية الدين، والولاية المنفية: ولاية الميراث، وقد نُسَخَهَا اللهُ تعالى^(١).

وقال ابن كثير: إن الولاية المنفية هي ولاية المغانم؛ أي: ليس لهم في الغنائم شيء؛ لأنهم لم يُهاجروا، ولم يُشاركوا في الجهاد، وعلى ذلك فلا إشكال أصلاً^(٢).

١٨- سلطان الشيطان على عباد الله:

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى لإبليس: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} [الحجر: ٤٢]، وبين قوله سبحانه حكايةً عن موسى: {قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ} [القصص: ١٥]، فموسى من عباد الله المخلصين، فكيف كان للشيطان عليه سبيل؟

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٢٠٠-٢٠٢)، والإمام أحمد (ص ١٩٠-١٩١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٣٨١).



الجواب من وجوه:

الأول: أن إبليسَ ليس له عليهم سلطانٌ في توحيدهم الله، فلا يقدرُ على إخراجهم عن الإسلام، ولا جعلهم يُشركون بالله، أما الذنوبُ التي دونَ الشُّركِ فكلُّ بني آدمَ خطَّاءٌ، وخيرُ الخطَّائين التوابون.

الثاني: أن ما وقع من موسى كان قبلَ بعثته للنبوَّة والرسالة والدعوة.

الثالث: أن ما جرى من موسى كان قتلاً خطأً باتفاقٍ، ولم يكن عمداً ولا شبهةً عمدٍ، {فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى}، والله تعالى قال: {وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب: ٥]، وقال: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}؛ لأن الأنبياء معصومون عن الذنوب والمعاصي العمدية قبل بعثتهم وبعدها.

١٩- هل الله ينسى؟

هل هناك تعارض بين قولِ الله تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} [مريم: ٦٤]، وقوله تعالى: {قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى} [طه: ٥٢]، وقوله سبحانه: {وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَخُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَنُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّصِيرِينَ} [الحاثية: ٣٤]، وقوله: {فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ}



كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ [الأعراف: ٥١]، وقوله: {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} [التوبة: ٦٧].

فهل النسيان يجري على الله كما يجري على المخلوقين أم لا؟

الجواب: ليس هناك تعارض بين الآيات، فالنسيان في حق الله مستحيل بمعناه المعروف لدينا، وأما معنى قوله تعالى: {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ}، وقوله: {الْيَوْمَ نَنسَلْكُمْ}، فالنسيان هنا بمعنى الترك، فقوله: {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ}؛ أي: تركوا عبادة الله واتباع رسوله وكتبه، فَنَسِيَهُمْ؛ أي: تركهم من رحمته.

وقوله: {الْيَوْمَ نَنسَلْكُمْ}؛ أي: نترككم في النار، {كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا}؛ أي: تركتم العمل الصالح للقاء يومكم هذا^(١).

٢٠- عمى الكافر في الآخرة:

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى} ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ [طه: ١٢٤، ١٢٥]، وقوله تعالى: {فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} ﴿٢٢﴾ [ق: ٢٢]؟

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٣٢٧). (ص ١٩٤ مرجع سابق). - الإمام أحمد (ص ١٩٢).



الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ ولا تناقضٍ، وإنما معنى قوله تعالى: {وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى}؛ أي: أعمى عن حُجَّتِهِ التي كان يخاصمُ بها في الدنيا من إنكارِ البعثِ وإنكارِ الرسلِ والكتبِ والتوحيدِ ونحو ذلك؛ بدليل قوله تعالى في آخر الآية: {قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} [طه: ١٢٦]؛ أي: أتتك آياتنا وحججتنا بالكتاب والسنة والنبوة والرسالة فتركتها وكذبتُها، وكذلك اليوم تُترك من رحمة الله، {وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى} [طه: ١٢٧].

وأما قوله تعالى: {فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}؛ أي: أن الكافر إذا بُعث في القيامة من قبره شخصَ بصره لما يُعَينُ من أمرِ البعثِ وهولِ القيامةِ مدعوراً مرعوباً، قال تعالى: {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا}؛ أي: من البعثِ والقيامة والحسابِ والنارِ والعذابِ، {فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ}؛ أي: غطاء الآخرة.

{فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}؛ يُبَصِّرُ جميع ما كنت تُكذِّبُ به^(١).

٢١- «أنا» و«نحن»؛ في حق الله للتعظيم والتفخيم:

هل هناك تعارضٌ بين قول الله تعالى: {قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [٤٦]؛ {إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [٤٦]؛

(١) انظر: الرد على الزنادقة (ص ١٩٢-١٩٣).



[طه:١٤]، وقوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾} [الحجر:٩]، {إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾} [الشعراء:١٥]؟

الجواب: أن كلام المتكلم العظيم المعظم لنفسه بصيغة الجمع جائز في لغة العرب بغير خلاف ولا نكير، والله جل وعلا يعبر عن نفسه تارة بصيغة الإفراد، وأحياناً بصيغة الجمع، تعظيماً لذاته، وهو الكبير العلي العظيم المتعال، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون^(١).

٢٢- هل في القرآن ريب أم لا؟

هل هناك تعارض بين قوله تعالى عن القرآن: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ}، وقوله تعالى للكفار المشككين: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾} [البقرة:٢٣]، وقوله عن المنافقين: {وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾} [التوبة:٤٥]؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض بين الآيات؛ فقوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ}، فيه معنيان صحيحان:

(١) انظر: الإمام أحمد. (ص ١٩٣ - الصواعق المرسله ٢/ ٨٣).



الأول: أنه خبرٌ أُريدَ به الإنشاء؛ أي: لا ترتابوا في القرآن.

والثاني: أن القرآن كلامُ الله الواضحُ البينُ المعجزُ المعصومُ المحفوظُ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ.

فليس فيه شكٌ ولا ريبٌ؛ لأنه كلامُ الله، وأما الكفارُ المعاندون الذين جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً، فهم يُشكِّكون فيه؛ لعمى بصائرهم وكبر نفوسهم عن قبول الحق، فهذا وصفُ حالهم: أنهم يتشكِّكون بغير حجة ولا برهان، كالمنافقين المذنبين بشؤمِ نفاقهم، وليس فيه أدنى ريبٍ أو شكٍّ^(١).

فلا إشكال ولا تعارض بين كلامِ الله تعالى.

٢٣- هل القرآن هُدًى للناس كافة أم للمتقين وحدهم؟

هل هناك تعارض بين قولِ الله تعالى عن القرآن: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾} [البقرة: ٢]، وقوله سبحانه: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ}؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ ولا تناقضٍ؛ إذ إن الهدايةَ هدايتان:

الأولى: هدايةُ التوفيقِ والسداد، وهي لا تكونُ إلا للمؤمنين.

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٣٠-٣١).



والثانية: هداية الدلالة والإرشاد، فالقرآن كتابٌ هدايةٌ ودلالةٌ وإرشادٌ للناس كافةً، والقرآن كتابٌ هدايةٌ وتوفيقٌ وسدادٌ لأهل الإيمان والتقوى خاصةً^(١).

٢٤- هل النبي محمد ﷺ يهدي أم لا يهدي؟

هل هناك تعارضٌ بين قول الله تعالى في حق النبي محمد ﷺ: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [٥٦] {وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [٥٢] [الشورى: ٥٢]؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ ولا تناقضٍ؛ لأن الهداية هدايتان:

الأولى: هدايةٌ إرشادٍ، وهذه يملكها كلُّ إنسانٍ مسلمٍ يدعو إلى الخير، ومعنى قوله تعالى: {وَأَنَّكَ لَتَهْدِي}؛ أي: تُرشِدُ وتعلمُ وتنصحُ الناسَ إلى الطريقِ المستقيمِ.

والثانية: هدايةٌ التوفيقِ والسدادِ، وهذه لا يملكها إلا الله تعالى وحده، ومعنى قوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [٥٦]؛ أي: إنك يا محمد لا تملكُ هدايةَ التوفيقِ والسدادِ لأحدٍ، فلا يملكها نبيٌّ مرسلٌ ولا ملكٌ مقربٌ، وإنما هي بيدِ الله وحده.

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٣٠-٣١).



٢٥- هل الكفار يمكن أن يؤمنوا أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى عن الكفار والمشركين: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾} [البقرة: ٦]، وبين قوله تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾} [الأنفال: ٣٨]، وقوله: {وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ} [العنكبوت: ٤٧]، وقوله: {قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾} [الزمر: ٥٣]؟

والجواب: ليس هناك أدنى تعارض، فالآية الأولى في حق من سبق في علم الله تعالى لهم الشقاوة والإصرار على الكفر، فلا تنفع معهم حجة.

بدليل قوله تعالى: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ}، لما علم منهم إصرارهم على الكفر طبع وختم على قلوبهم بالكفر.

وأما قوله تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ}، فهذه دعوة من الله تعالى للكفار بالتوبة والرجوع إلى الله بالإسلام والإيمان ومتابعة الرسل، فإن آمنوا وتابوا غفر الله لهم برحمته وتجاوز عنهم، كقوله تعالى: {قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾} [الزمر: ٥٣].



فالأية الأولى من العام المخصوص؛ لأنها في خصوص الأَشقياء الذين سبقت لهم في علم الله الشقاوة المشار إليها في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾} [يونس: ٩٦-٩٧] ^(١).

٢٦- هل الكافر مجبورٌ على كفره أم باختياره؟

هل هناك تناقض بين قول الله تعالى: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾} [البقرة: ٧]، وقوله: {فَاسْتَحَبُّوا أَلْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾} [فصلت: ١٧]؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض ولا تناقض، فالله جل وعلا بَيِّن للناس الحقَّ من الباطل بإزالة الكتب وإرسال الرسل، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته، وقال تعالى: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾} [البقرة: ١٠]؛ أي: بَيَّنَّا للإنسان الطريقين: طريق الهدى، وطريق الضلال، وقال: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ}.

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٣٣).



وجعل له حرية في اختيار ما يشاء، وبيّن له أنه إن اختار الإيمان فهو من أهل النعيم، وإن اختار الكفر والشرك فهو من أهل الجحيم: {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}.

فلما اختار المؤمن طريق الإيمان وفقّه الله لذلك وأعانه وهداه، ولما اختار الكافر الكفر؛ واختار المشرك الشرك؛ والمنافق النفاق، أزاغ الله قلوبهم، وطبع عليها، وختم عليها بالكفر والشرك والنفاق؛ عقوبة لهم.

قال تعالى: {بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ}؛ أي: بسبب اختيارهم الكفر طبع الله على قلوبهم به.

وقال تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}؛ أي: لما اختاروا الزيغ والضلال، أزاغ الله قلوبهم وصرفهم، عن الإيمان عقوبة لهم.

قال تعالى عن المنافقين: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ}؛ أي: لما اختاروا الكفر بعد الإيمان طبع الله على قلوبهم به^(١).

١٧ - اسم الموصول (الذي) يأتي للمفرد والجمع في لغة العرب:

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٣٤).



هل في القرآن أخطاء لغوية كما في قوله تعالى: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا}، لماذا قال: (الذي)، ولم يقل: (الذين)، فقد قال: {مَثَلُهُمْ} بالجمع، كقوله تعالى: {وَحُضَّتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا}، ولم يقل: ك«الذين» بالجمع، وكقوله: {لَا تُبْطِلُوا صِدْقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ}؟

والجواب:

أن الاسم الموصول (الذي) المفرد معناه عام لكل ما تشمله صلتته، فهو يعمل ويشمل المفرد والجمع، والأسماء الموصولة كلها من صيغ العموم، وهذا معروف في لسان العرب ولغتهم وبيانهم^(١).

٢٨- هل المنافقون يسمعون ويبصرون ويتكلمون أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى عن المنافقين: {صُمُّ بُكْمٌ عُمًى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} [البقرة: ١٨]، وبين قوله: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: ٢٠]، وقوله: {وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ}؛ ففي الأولى: وصفهم بأنهم بُكْمٌ وَعُمًى وَصُمُّ، وفي الآيات الأخرى أثبت لهم السمع والبصر والكلام، فهل هذا تناقض في كتاب الله؟

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٣٤-٣٥).



الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ ولا تناقضٍ؛ ولكنه كما وصفهم الله وغيرهم من المشركين والكافرين: {وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِّنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ} [الأحقاف: ٢٦].

وقال سبحانه: {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [الأعراف: ١٧٩]؛ أي: أنهم بسبب كفرهم ونفاقهم صاروا كالصم البكم العمي الذين لا يبصرون الحق، ولا يعرفونه.

٢٩- هل الأرض خُلِقَتْ أولاً أم السماء؟

هل هناك تعارضٌ بين قولِ الله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٩]، وقوله: {قُلْ أَتَيْتُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ} ٩ {وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ} ١٠ {ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} ١١ [فصلت: ١١، ١٠، ٩]؛ فهنا ذكر أنه خلق الأرض أولاً ثم خلق السماء، وبين قوله تعالى: {ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا} ٢٧ {رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا} ٢٨ {وَأَغْطَشَ



لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ صُحُلَهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَلَهَا { [النازعات: ٢٧-٣٠]؛ وهنا ذكر أنه بنى السماء أولاً، ثم دحا الأرض بعد ذلك.

فهل هناك تعارض في كلام الله وتناقض؟

الجواب: ليس في كتاب أدنى تعارضٍ أو تناقضٍ أبداً؛ فاللهُ جل وعلا خلق الأرض أولاً، ثم خلق السماء بعد ذلك؛ ثم بعد خلقِ السماءِ دحا الأرض، فأصلُ خلقِ الأرضِ قبلَ خلقِ السماءِ، ودحوها بجبالِها وأشجارِها وأنهارِها ونحو ذلك كان بعد خلقِ السماءِ^(١).

٣٠- هل هي سماءٌ واحدةٌ أم سموات؟

هل في قولِ الله تعالى خطأ لغوي: {ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ} [البقرة: ٢٩]، فقلوله: {السَّمَاءُ} دَلٌّ على المفرد، وقوله: {فَسَوَّاهُنَّ} دَلٌّ على الجمع. فهل هناك تعارض في كلام الله؟

الجواب: ليس هنالك أدنى تعارضٍ ولا تناقض؛ لأنه لا خلاف بين أهل اللسان العربي في وقوع إطلاقِ المفرد وإرادة الجمع مع تعريف المفرد وتنكيره وإضافته، وهذا كثيرٌ في القرآن الكريم، فالمرادُ بالسماءِ هنا: جنسُ السموات السبع، فالألف واللام هنا للجنس؛ أي: لجنس السموات، وليس لسماءٍ واحدة.

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٤٠).



- ومن أمثلة ذلك في القرآن قوله تعالى: {وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ}؛ أي: من كُتِبَ؛ أي: آمنت بجميع الكتب المنزلة.
- وقوله: {سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونُ الدُّبُرُ}؛ أي: الأدبار.
- وقوله: {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا}؛ أي: العُرف؛ بدليل قوله تعالى: {لَهُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ}.
- وقوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}؛ أي: الملائكة صفوفًا.
- وقوله: {أَوِ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ}؛ أي: الأطفال، وليس طفلًا واحدًا.
- وقوله: {إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي}؛ أي: أضيافي.
- وقوله: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ}؛ أي: أوامره.
- وقوله: {وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}؛ أي: أئمة^(١).

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٤٢-٤٣).



٣١- هل الظنُّ بمعنى الشكِّ أم اليقين؟

وصف الله المصلين الصابرين الخاشعين بقوله تعالى: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْتَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: ٤٦]؛ أي: يوقنون بالقيامة، ووصف كفار أهل الكتاب بقوله: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [البقرة: ٧٨]؛ أي: يشكون، ووصف المشركين بقوله: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ} [النجم: ٢٣]، وقوله: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى} [النجم: ٢٣].

فهل الظنُّ بمعنى الشكِّ أم اليقين، وهل هذا تناقض في القرآن الكريم؟

الجواب: أنه ليس هناك أدنى تعارض ولا تناقض في كتاب الله تعالى؛ فالظنُّ في لغة العرب يأتي بمعنى اليقين، ويأتي بمعنى الشك، حسب سياق الكلام ومن وُرد في حقه.

فيأتي الظنُّ بمعنى اليقين كقول الله تعالى في حق أهل الإيمان المجاهدين: {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْتَقُوا اللَّهَ كَمَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ يِاذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ٢٤٩]؛ ف«يظنون»؛ أي: يوقنون.



وقوله في حقِّ مَنْ فاز في القيامةِ وأوتِيَ كتابه يمينه: {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ}؛ أي: أيقنتُ أَني سأبعثُ في القيامة للحسابِ، فأمنتُ بالله، وعمَلْتُ صالحًا.

ويأتي بمعنى الشكِّ، كما في قوله تعالى عن المشركين: {إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} ^(١).

٣٢- هل أفضلُ الناسِ بنو إسرائيلَ، أم أُمَّةُ محمدٍ ﷺ؟

هل هناك تعارضٌ بين قولِ الله تعالى: في حق بني إسرائيلَ: {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}، وقوله سبحانه في حقِّ أُمَّةٍ محمدٍ ﷺ: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}، فأَيُّهُما الأُمَّةُ المُفَضَّلَةُ؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ بين الآيتين؛ فقوله تعالى في حقِّ بني إسرائيلَ: {يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}؛ معناه: فضَّلْتُكم على عالمي أهلِ زمانكم بالتوراةِ ونبوةِ موسى ﷺ بالإيمان والعملِ الصالح.

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٤٥).



وأما قوله تعالى في حق المسلمين أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}: فإنها خيرُ الأممِ على الإطلاق، ونبيُّها خيرُ نبيٍّ على الإطلاق، وكتابُها خيرُ كتابٍ على الإطلاق، كما قال الله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا}، فالكتابُ هو القرآن، والأُمَّة المصطفاهُ هي أمةُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وقد وردت أحاديثٌ صحيحةٌ تبينُ مدى خيريةِ هذه الأُمَّةِ على غيرها من الأمم، كقوله ﷺ: «أَنْتُمْ تَوْفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ»^(١).

وفي لفظ الترمذي: عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جدِّه معاوية بن حيدة القشيري، أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}، قال ﷺ: «أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ»^(٢).

قال الشنقيطي رحمه الله: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْمُقْتَصِدَ مِنْهُمْ - أي: من بني إسرائيل - هو أعلاهم منزلةً؛ حيثُ قال: {مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ} [المائدة: ٦٦].»

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٢٧) وابن ماجه (٤٢٨٧).

(٢) أخرجه أحمد (١١٥٨٧)، والترمذي (٣٠٠١).



وجعل في هذه الأمة - أمة محمد ﷺ - درجةً أعلى من درجةِ المقتصدِ، وهي درجةُ السابق بالخيرات؛ حيث قال: {وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} ٣٢ جَنَّتْ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [فاطر: ٣٢-٣٣] (١).

٣٣- هل حياة البنت هبة أم عذاب؟

هل هناك تعارض بين قولِ الله تعالى في خلقته للبنات ووصفهنَّ بأنهنَّ هبةٌ من الله للعبد: {يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ} [الشورى: ٤٩]، وبين قوله سبحانه عن فرعونَ وآله في تعذيبهم بني إسرائيل: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّجُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ} [البقرة: ٤٩].

فهل حياة البنات بلاءٌ وعذابٌ؟

الجواب: لا تعارض ولا تناقض، فالأصل أن الرزق بالبنين والبنات محض هبة من الله تعالى للوالدين، وهم زينة الحياة الدنيا، وهم فلذات الأكباد وثمرات الفؤاد، وقد أودع الله تعالى في البنات من العطف والحنان والنفع للوالدين ما الله به عليم.

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٤٨).



وَإِذَا أَحْسَنَ الْوَالِدَانِ تَرْبِيَةَ الْبَنَاتِ كُنَّ لَهُمَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ؛ وَلَكِنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ كَانُوا يَقْتُلُونَ الذَّكَورَ وَيَتْرَكُونَ الْبَنَاتِ أَحْيَاءَ لِعِبَادِيَّةٍ وَخِدْمَةٍ آلِ فِرْعَوْنَ فَيُسْتَخْدَمْنَ فِي الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ، وَيَفْعَلُ بِهِنَّ آلُ فِرْعَوْنَ مَا يَشَاءُونَ مِنَ الْفَاحِشَةِ وَالْخِدْمَةِ، فَكَانَ هَذَا بَلَاءً عَظِيمًا وَعَذَابًا شَدِيدًا.

وَأَيُّ بَلَاءٍ لِلْإِنْسَانِ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُمْتَهَنَ ابْنَتُهُ أَوْ أُخْتُه أَوْ أُمُّه أَوْ عَمَّتُهُ أَوْ خَالَتُهُ، أَمَامَ عَيْنِيهِ وَهُوَ عَاجِزٌ عَنْ حِفْظِهَا وَصِيَانَتِهَا وَالِدْفَاعِ عَنْهَا^(١).

٣٤- هل طعام بني إسرائيل كان واحدًا أم أكثر؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ} [البقرة: ٦١]، وبين قوله تعالى: {وَوَضَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: ٥٧].

فهل هو نوعٌ واحدٌ من الطعام أم أكثر؟

الجواب: أن المقصود بالطعام الواحد ليس هو الصنف الواحد من الطعام كالخبز فحسب، أو اللحم فحسب، وإنما المقصود سُفرةٌ متعددةٌ الأَطعمة، يأكلون منها كُلَّ يوم، فصارت كالطعام الواحد لتكرُّره بنفس الأعيان والأوصاف، وهذا يشملُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى أَيًّا كَانَ نَوْعُهُمَا مِنَ الطَّعَامِ، فَقَدْ قِيلَ:

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٤٩).



إِنَّ الْمَنْ هُوَ شَرَابُ التَّرَجَبِينَ، أَوْ عَسَلِ النَحْلِ، أَوْ غَيْرِهِ، وَالسَّلْوَى هِيَ طَائِرُ السَّمَانِيِّ أَوْ نَحْوِهِ.

وقال النبي ﷺ عن الكَمَاةِ: «الْكَمَاةُ مِنَ الْمَنْ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ»^(١).

والعربُ تسمي المَجْعُولَ على المائدةِ من الأطعمةِ المختلفةِ طعامًا واحدًا^(٢).

٣٥ - هل الرسل منصورون أم أنهم مقتولون ومُكذَّبون؟

هل هناك تناقض بين قولِ الله تعالى في حقِّ الرسلِ مع بني إسرائيل: {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} [البقرة: ٨٧]، وقوله تعالى: {قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [آل عمران: ١٨٣]، وما في معناها من الآيات، وبين قولِ الله تعالى في نصرته لِرُسُلِهِ: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة: ٢١]، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ} [٧١] إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ} [٧٢] وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [٧٣]

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٨).

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٥٠-٥٢).



[الصفات: ١٧١-١٧٣]، وما في معناها من الآيات، فهل الرسل مقهورون ومقتولون، أم منصورون؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ ولا تناقضٍ بين كلام الله تعالى؛ فغلبةُ الرسل ونصرتهم تكونُ بأحدِ أمرين:

الأول: نصرهم بالحجة والبرهان، وهذا واقعٌ لا محالة، فهم الغالبون المنصورون بحجة الله لهم على أقوامهم بما يوحيه الله إليهم، وبالمعجزات الحسية والمعنوية التي يؤيدهم الله بها.

الثاني: نصرهم بالسيف والبنان، والأنبياء في ذلك على قسمين:

منهم من أمر بالقتال والجهاد بالسيف: فهؤلاء هم المنصورون الغالبون.

ومنهم من أمر بالصبر وعدم القتال، وهم الذين تعرض لهم كفر بني إسرائيل بالقتل والتعذيب؛ نهايةً لآجالهم، ورفعاً في درجاتهم، ونقمةً على أعدائهم، فشر الناس من قتل نبيًا، أو قتله نبي^(١).

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٥٣).



٣٦- أَيُّهُمْ أَظْلَمُ؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} [البقرة: ١١٤]، وقوله: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} [الأنعام: ١٤٤]، وقوله: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ} [الزمر: ٣٢]، وقوله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا} [الكهف: ٥٧]؛ فأَيُّ هؤلاء المذكورين أَظْلَمُ؟

الجواب:

ليس هناك أدنى تعارض بين الآيات؛ فالمعنى ليس هناك أَظْلَمُ مِمَّنْ منع مساجد الله أَنْ يُذْكَرَ فيها اسمه، وَمَنْ افترى على الله الكذب وكذب بالصدق إِذْ جاءه، وممن ذُكِّرَ بآياتِ رَبِّه فَأَعْرَضَ عنها، فهم في مجموعهم مِنْ أَظْلَمِ الناسِ لأنفسهم، وكلُّ منهم في بابِه وموضِعِه أَظْلَمُ، فلا أَحَدَ أَظْلَمُ في المانعين مِمَّنْ منع مساجد الله أَنْ يُذْكَرَ فيها اسمه، ولا أَحَدَ أَظْلَمُ في المُفْتَرِينَ مِمَّنْ افترى على الله الكذب، ولا أَحَدَ أَظْلَمُ في المُعْرِضِينَ مِمَّنْ أَعْرَضَ عن آياتِ رَبِّه.

وليس هناك تناقض ولا تعارض، والله الحمدُ والمِنَّةُ!



٣٧- قول الله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ ۖ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ} [البقرة: ١١٦]، عَبَّرَ اللهُ تعالى بـ«ما» الموصولة الدالة على غير العقلاء في قوله: {لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ}، ثم ختم الآية بصيغة جمع المذكر الدالة على العقلاء في قوله: {كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ}، فهل هناك خطأ لغوي في كلام الله؟

الجواب:

ليس في كلام الله أخطاء لغوية؛ فجميع الخلائق بالنسبة لمُلكِ الله سواء، عاقلهم وغير عاقلهم، والسموات والأرض تحوي العاقل وغير العاقل، فعَبَّرَ سبحانه بـ«ما» الموصولة الدالة على غير العاقل؛ لأن أكثر المخلوقات فيها من الجمادات والطيور والحيوانات، فعَبَّرَ بها؛ تغليبا، وعَبَّرَ بصيغة جمع المذكر السالم: {قَنِينٌ} الدالة على العاقل؛ لأن القنوت يكون أظهر في العقلاء من غيرهم، فعَبَّرَ بما يدلُّ عليه؛ تغليبا^(١).

وهذا معروف في لغة العرب ولسانهم.

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٥٦).



٣٨- البيان للموقنين وحدهم أم للناس كافة؟

هل هناك تعارض أو تناقض بين قول الله تعالى: {قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [البقرة: ١١٨]، وقوله تعالى: {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ} [آل عمران: ١٣٨]، وقوله: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٧]؟

الجواب: أن البيان في الأصل عام لجميع الخلق؛ لتبليغهم الدعوة وقيام حجة الله عليهم؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، إلا أنه لما كان الانتفاع به خاصًا بالمتقين خص بهم في الآية الأولى: {لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}؛ لأن ما لا نفع فيه كالعدم.

وذلك كقول الله تعالى: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}، فلا ينتفع بها إلا المؤمن، وقوله تعالى: {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ}، فلا ينتفع بالإنذار إلا من اتبع الكتاب والسنة، وخاف من الله تعالى بالغيب والشهادة، وكقوله تعالى: {سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى} ١٠ و{وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى}؛ أي: لا ينتفع بالبيان والتذكير والإنذار إلا من اتبع الذكر وخشي ربه^(١).

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٥٦).



٣٩- هل الله يعلم الشيء قبل وقوعه أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى عن علمه بخلقه: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ}، وقوله سبحانه: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}، وقوله: {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ}، وما في معناها من الآيات.

فهل الله يعلم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم؟ أم أنه لا يعلم الشيء إلا بعد حدوثه ووقوعه بالفعل؟

الجواب: أنه ليس هناك أدنى تعارض ولا تناقض في كلام الله ولا في علم الله تعالى، فالله جل وعلا قال: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}، فالله جل وعلا يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، فهو العليم السميع البصير الخبير الشهيد المحيط بكل شيء علماً.

وأما معنى قوله سبحانه: {إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ}، فليس المراد علماً لشيء كان مجهولاً عنده، غائباً عنه قبل وقوعه، وإنما هو علم يترتب عليه الثواب لأهل الطاعة، والعقاب لأهل المعصية، وقد سبق علم الله تعالى بالشقي والسعيد، فالله جل وعلا كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض



بخمسين ألف سنة، وأمر الملك بكتابة كل شيء على الإنسان وهو جنين في بطن أمه، وعمره مئة وعشرون يوماً في بطن الأم، بكتابة رزقه وعمله وأجله وشقي أم سعيد.

قال تعالى مبيناً أنه سبحانه لا يستفيد بالاختبار والابتلاء علماً جديداً؛ لأنه سبحانه هو العالم بما سيكون، وهو الخالق البارئ المصور، قال تعالى: {وَلَيَبْتَليَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [آل عمران: ١٥٤]، وقال تعالى: {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ}، وقال: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ} ^(١).

٤٠- كيف يكون الميت حياً؟

هل هناك تعارض بين قوله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} ، {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} ، {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} ، وبين قوله تعالى في حق الشهداء الذين قُتِلُوا وماتوا ودُفِنُوا: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ} [البقرة: ١٥٤] ، {بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: ١٦٩]، فهل هم أموات بعد قتلهم وموتهم ودفنهم، أم أحياء لم يموتوا؟

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٥٧).



الجواب: أنهم قد ماتوا، وفارقوا الدنيا، وفارقت أرواحهم أجسادهم بمجرد قتلهم وموتهم؛ ولكن الله تعالى يحييهم حياةً برزخيةً لا تشبه حياة الدنيا، ويُعَمِّمهم في قبورهم حسب حكمته ومشيئته سبحانه، والحياة البرزخية غير معقولة المعنى لأهل الدنيا، ولذلك قال الله تعالى: **{بَلْ أَحْيَاءُ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ}**، وذلك كحياة النبي محمد ﷺ في قبره، إذ وكلَّ الله له ملائكةً تُبلغه من أمته السلام.

وقد رأى النبي ﷺ موسى يصلي في قبره، وهذه حياةً برزخيةً غير معقولة المعنى، فنؤمن بها كما وردت ^(١).

٤١ - هل الكفار يعقلون أو لا يعقلون؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى في حق الكفار: **{أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ}** [البقرة: ١٧٠]، فدلَّت الآية على أن الكفار لا عقول لهم أصلاً؛ لأن قوله: **{شَيْئًا}** نكرة في سياق النفي، فهي تدلُّ على العموم.

وبين قول الله تعالى: **{وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ}** [العنكبوت: ٣٨]؛ أي: كانت لهم عقول تميِّز الحق من الباطل ^(١).

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٥٨).



الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ، فهم لا يعقلون أمورَ الآخرة، فقد أعماهم الله عنها لَزَبِغَهُمْ وكَفَرَهُمْ وفسَقَهُمْ وكَبَّرَ نفوسَهُمْ، كما قال تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}، وقال: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}، وقال: {فَطُيْعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ}.

أما في أمورِ الدنيا الفانية فهم يعقلون، كما قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} ﴿٦٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} [الروم: ٦٦-٧] ^(١).

٤٢- هل مطلق الدم محرَّم أم المسفوح فقط؟

هل هناك تعارض بين قولِ الله تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ} [البقرة: ١٧٣، النحل: ١١٥]، وبين قوله تعالى: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحَىٰ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا} [الأنعام: ١٤٥].

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ، فالدمُ المحرَّم هو الدمُ المسفوحُ، وأما الدمُ غيرُ المسفوح كالحُمرة التي تَظْهَرُ في القِدْرِ من أثرِ تقطيعِ اللحمِ أو بعضِ

(١) انظر: التفسير الميسر د. محمد سيد طنطاوي، طبعة وزارة التربية والتعليم سنة ٢٠١٣

(ص ٣٣٥).

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٦٤).



قطراتِ الدمِ العالقةِ بالعروقِ أو اللحمِ أو العظمِ ونحو ذلك فهذه أمرها يسيرٌ، وليست بحرامٍ، وهذا من بابِ حملِ المُطْلَقِ على المُقَيَّدِ، فمُطْلَقُ الدمِ أَكْلُهُ حرامٌ، وَيُسْتثنى منه ما أباحه الشرعُ كالدمِ اليسيرِ العالقِ بالعروقِ واللحمِ؛ والكبدِ والطَّحالِ، فقد ورد في الحديث: «أَحْلَلْنَا مِيتَتَيْنِ وَدَمَانِ، أَمَّا الْمِيتَتَانِ فَالسَّمَكُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ»^(١).

فَقِيْدَ إِطْلَاقِ تَحْرِيمِ الدَّمِ الْمَسْفُوحِ بِأَخْذِ الْيَسِيرِ مِنْهُ الَّذِي عَلِقَ بِالذَّبِيحَةِ وَظَهَرَ أَثَرُهُ أَثْنَاءَ الطَّهْيِ^(٢).

٤٣ - هل الله يُكَلِّمُ الْعُصَاةَ فِي الْقِيَامَةِ أَمْ لَا؟

هل هناك تعارضٌ بين قولِ الله تعالى في حقِّ العصاةِ بكتمانِ العلمِ: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة: ١٧٤]، وهنا قال: {وَلَا يُكَلِّمُهُمْ}، وقوله تعالى حينما يقول المعذَّبون في النار: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ} ﴿١٧٧﴾ قَالَ أَحْسُوا

(١) أخرجه أحمد (٥٧٢٣)، وابن ماجه (٣٣١٤).

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٦٥).



فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ} [المؤمنون: ١٠٧-١٠٨]، وهنا قال ردًّا عليهم: {أَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ}، فهل هذا تعارضٌ في كلام الله؟

الجواب: ليس في ذلك أدنى تعارضٍ ولا تناقضٍ؛ لأن معنى قوله تعالى: {لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ}؛ أي: لا يُكَلِّمُهُمُ كلامًا يَسْرُّهم؛ لكن يُكَلِّمُهُم بما فيه إهانتهم وتوبيخهم وتقريعهم، وهذا من جنسِ عذابهم^(١).

٤٤- هل القصاصُ حتمٌ لازمٌ أم أنه على الخيار؟

هل هناك تعارضٌ بين قوله تعالى عن القصاصِ في القتل العمد: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ} [البقرة: ١٧٨]، وقوله تعالى: {فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ}، فقوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ}؛ أي: فُرِضَ عليكم، فدَلَّ على فرضية القصاص وحتميته، وباقي الآية يدلُّ على أنه بالخيار، فهل في هذا تناقضٌ في كتاب الله؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ ولا تناقضٍ؛ لأن حتمية القصاص وفرضيته تكون إذا لم يعفَ أولياءُ الدم أو بعضُهم، أما إن عفوا وسامحوا فالقصاصُ ليس حتمًا ولا متعينًا؛ بل ندب الشرعُ إلى العفو والتسامح^(٢).

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٦٦)، التفسير الميسر. د/ طنطاوي (ص ٢٤).

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٦٧).



٤٥ - هل الوصية للوالدين والأقربين أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ} [البقرة: ١٨٠].

وبين قول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ لِرِوَارِثٍ»^(١).

الجواب: ليس هناك تعارض في أحكام الله تعالى؛ إذ إن الآية الكريمة كانت أولاً بتشريع الوصية للأقارب، ومنهم الوالدان، ثم نسخ الله الوصية للوارث من الأقارب والوالدين بآيات الموارث، وبهذا الحديث، وبقيت الوصية في حق الأقارب غير الوارثين.

فصارت الوصية مشروعةً للأقارب غير الوارثين فقط، وعليه فلا تعارض ولا إشكال^(٢).

٤٦ - هل صيام رمضان على الحتم أم التخيير؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ}؛ أي: أن القادر على الصوم مخير بين الصوم والفدية بأن يطعم عن

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٦٥)، والترمذي (٢١٢١)، وابن ماجه (٢٧١٣)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٦٧).



كُلَّ يَوْمٍ مَسْكِينًا بَدَلَ الصَّوْمِ، وقوله تعالى: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}؛ أي: أن القادرَ على الصَّوْمِ وجب عليه أن يصومَ؟

والجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ بين الآيتين؛ لأن آيةَ التَّخْيِيرِ الأولى كانت في أول الأمر، ثم نُسِخَتْ بِالثَّانِيَةِ في حَقِّ القادرِ على الصَّوْمِ، وبقيت الكفارةُ في حَقِّ العاجزِ عن الصَّوْمِ والقضاءِ.

بدليل القراءة الأخرى: {يُطَوَّقُونَهُ}؛ أي: يتكَلَّفون مع عجزهم عنه، فهو لاءٌ عليهم الفديةُ بالإطعامِ عن كُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا نِصْفَ صَاعٍ مِنْ طَعَامٍ^(١).

٤٧- هل الأمرُ بالقتالِ مطلقٌ أم مقيَّدٌ باعتدائهم؟

هل هناك تعارضٌ بين قولِ الله تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا}، وهنا القتالُ لا يكونُ إلا لردِّ العدوانِ، وبين قوله تعالى: {فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ بين الآياتِ؛ فالآيةُ الأولى في جهادِ الدفعِ؛ أنه إذا اعتدى العدوُّ عليكم وجاء لقتالكم، فدافعوا عن أنفسكم، وقاتلوا الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا.

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٦٩-٧٩).



وأما الثانية فهي في جهاد الطلب، فقد أمر الله المؤمنين بالدعوة إلى الله ونشر الإسلام في ربوع الأرض بدعوة الناس كافة إليه، فإن قبلوا الإسلام ديناً فهم مسلمون مؤمنون، ولا يُقاتلون، وإن لم يقبلوا الإسلام، فتعرض عليهم الجزية، فإن قبلوها يقرّون على دينهم وحالهم، ولا يُقاتلون ويعاملون بالبر والإحسان.

وإن لم يقبلوا الإسلام ولا الجزية فهنا يُقاتلون إذا حالوا بين المسلمين ونشر الإسلام الذي هو الدين الذي أمر الله به، علاوة على أن الذين لا يُقاتلون كالشيوخ والنساء والأطفال لا يُقاتلون^(١).

٤٨- هل الله يأمر بالعفو عن الظالم أم بالانتقام منه؟

هل هناك تعارض بين أمر الله تعالى في القرآن بالعفو عن الظالم كقوله تعالى: {فَأَصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ}، وقوله: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩]، وقوله: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ} [النور: ٢٢]، وقوله: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [فصلت: ٣٤]، ونحو ذلك من الآيات، وبين أمره تعالى وإذنه في الانتقام من الظالم، كقوله تعالى: {فَمَنْ

(١) انظر بحثاً للمؤلف بعنوان: «طرد الوسواس عن حديث أمّرت أن أقاتل الناس»، منشور على شبكة الألوكة.



أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ} [البقرة: ١٩٤]،

وقوله: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} [الشورى: ٤٠]، ونحو ذلك من الآيات؟

الجواب: أنه لا تعارض بين هذه الآيات البيِّنات المُحَكِّمات من جهتين:

الأولى: أن الله تعالى بيَّن أن من حقَّ المظلوم الانتصارَ والانتقامَ من الظالم،

ثم بيَّن وأرشد إلى أفضلية العفو لمن قويت نفسه على ذلك، كما قال الله تعالى:

{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}

[النحل: ١٢٦].

الثانية: أن الانتقام له موضعٌ يحسُن فيه، والعفو له كذلك موضعٌ يحسُن فيه،

كما قال الله تعالى: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}، فإذا كان العفو مقروناً

بالإصلاح فيفضل العفو^(١).

٤٩- هل الردة تُحبط العمل بإطلاق أم باشتراط الموت عليها؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ

فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ}، وهنا المرتد لا يُحبط عمله إلا إذا

مات على الكفر، وقوله تعالى: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ}

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٧٢-٧٣).



[المائدة:٥]، وهنا بمجرد الكفر والردة والشرك يُحْبَطُ العملُ مباشرةً، ولا يُشترط الموت؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض؛ بل إن هذه الآيات يُحْمَلُ فيها المُطْلَقُ على المقيّد، فالمطلَقُ منها: {مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ} ونحو ذلك، والمقيّد: {فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} فإن مات على الكفر والشرك والردة حَبِطَ عمله، وإن تاب إلى الله تعالى، ورجع إلى الإسلام، وحسنت توبته؛ فإن الله لا يُحْبَطُ عمله^(١).

٥٠- هل يحرم الزواج من كل الكافرات أم بعضهن؟

هل هناك تعارض بين قوله تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُؤْمِنَ} وَلَا أُمَّةً مُّؤْمِنَةً خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ}، فهذا نهى عام عن الزواج من جميع المشركات أيّا كانت ملّتها، وبين قوله تعالى: {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}، فقد أباح الله في هذه الآية الزواج من المسلمات المؤمنات العفيفات ومن نساء كفار أهل الكتاب، وهن مشركات كافرات، وقرن حل الزواج بهن بحل الزواج بالمسلمات المؤمنات، مع كونهن

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٧٣-٧٤).



مشرَكَاتٍ وكافراتٍ، فهل الزواجُ بالمشرَكَاتِ الكافراتِ من أهل الكتابِ
يتعارضُ مع النهي عن الزواجِ بعمومِ المشرَكَاتِ؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ في كلام الله؛ فالله جل وعلا حَرَّمَ النكاحَ
من عموم المشرَكَاتِ، واستثنى منهن المشرَكَاتِ العفيفاتِ من كفارِ أهلِ
الكتابِ، فهذا استثناءٌ وتخصيصٌ من العمومِ، ولا تعارضٌ ولا إشكالٌ، والله
الحمدُ والمِنَّةُ^(١).

٥١- هل للمطلقة عدةٌ أم لا؟ وما هي عدَّتُها على التحديد؟

هل هناك تعارضٌ في القرآنِ في عدَّةِ المطلقةِ من جهةِ الثبوتِ والعدمِ، ومن
جهةِ المدةِ أم لا؛ حيث قال الله تعالى: {فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا^ط}
[الأحزاب: ٤٩]، وقال: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ^ع}، وقال:
{ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ^ع}، وقال: {وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ^ط
حَمْلَهُنَّ^ع}، وقال: {أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا^ط}، فهل لها عدةٌ أم لا؟ وكم عدَّتُها على
التحديد؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ في كتابِ الله تعالى، فكلُّ آيةٍ من هذه
الآياتِ لها نوعيةٌ من النساءِ تختصُّ بهذه العدة، وذلك على النحو الآتي:

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٧٥).



١- قوله تعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ}: هذه تخصُّ عدة النساء ذواتي الحيض.

٢- قوله تعالى: {وَاللَّيْ يَسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّي لَمْ يَحْضَنْ}: هذه تخصُّ النساء اللائي بلغن سنَّ اليأس من الحيض، وانقطع الحيض عنهن تمامًا، وكذلك المرأة التي لم تحض أصلاً، إما لصغر سنّها، وإما لأنها ليست من ذوات الحيض أصلاً.

٣- قوله تعالى: {وَأُولَئِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ}: هذه الآية خاصة بالمرأة الحامل، فعدتها تنتهي بوضع حملها.

٤- قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا}: وهذه الآية تخصُّ المرأة التي مات عنها زوجها، فعدتها أربعة أشهر وعشرة أيام.

٥- قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا} [الأحزاب: ٤٩]: هذه تخصُّ المرأة المطلقة قبل الدخول بها، فإذا عقد الرجل على امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها ويبنّي عليها فليس لها عدة.



فلا تعارض ولا تناقض في كلام الله؛ بل هو الجمال والحسن في أحكام الله وتشريعاته. والله أعلم.

٥٢- هل عدة المتوفى عنها زوجها سنة؟ أم أربعة أشهر وعشرة أيام؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا} [البقرة: ٢٣٤]، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ} [البقرة: ٢٤٠]؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض؛ بل إن الآية الأولى ناسخة لحكم الثانية باتفاق أهل العلم، حتى وإن كانت قبلها في المصحف؛ لأنها متأخرة عنها في النزول^(١)، ولذلك قال النبي ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، أَنْ تُحَدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ، فَإِنَّهَا تُحَدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»^(٢).

وقد جمع بعض أهل العلم بين الآيتين بجمع آخر؛ وهو أن الاعتداد بأربعة أشهر وعشر هو الواجب المتحتم على المرأة التي مات عنها زوجها، ويستحب

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨٠).



لها أن تعتدَّ عامًّا كاملاً على سبيل الاستحباب، قالوا: الواجبُ أربعةُ أشهرٍ وعشرًا، والمستحبُّ إكمالُ عامٍ كاملٍ^(١).

٥٣- هل هناك إكراهٌ في الدين أم لا؟

هل هناك تعارضٌ بين قولِ الله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: ٢٥٦]، وما في معناها من الآيات، وقوله تعالى: {تَقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ} [الفتح: ١٦]، وقوله: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} [البقرة: ١٩٣]؛ أي: حتى لا يكونَ شركٌ، وقول النبي ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٢)؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ بين آياتِ الكتابِ والسُّنة، وليس هناك أدنى إكراهٍ في الدين؛ ولكن يجبُ أن نفهمَ المعنى الصحيحَ من الآياتِ والأحاديثِ وسيرةِ النبي ﷺ وأصحابه الكرامِ ﷺ، فقولُ الله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}، وقوله سبحانه: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}، وقوله: {إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ} ٥١ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصِيطِرٍ، وقوله: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ١٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٢)، ومسلم (٢٠).



الَّذِ كَرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}، كُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً بَيِّنَةً عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَنْتَشِرْ بِالْإِكْرَاهِ وَلَا بِالسِّيفِ.

وأما قولُ الله سبحانه وتعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ}، وقولُ النبي ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فلا بد أن نَمِيزَ بَيْنَ مَعْنَى الْمَقَاتِلَةِ وَالْقَتْلِ، فالمقاتلة هي المدافعة عن النفس والدين والعرض والمال والأرض، وأما القتل فهو إزهاق الروح بالموت.

والله جلَّ وعلا شرعَ الجهادَ والقتالَ لأمرين:

الأول: للدفاع عن الدين والنفس والعرض والمال والأرض ضدَّ المعتدين.

الثاني: لتأمين الدعوة إلى عبادة الله وتوحيده.

فالجهاد والقتال لم يُشرعَا إلا بعدَ أربعةَ عَشَرَ عَامًا من البعثة المحمدية، قال تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}.

وهنا شرع القتال للدفاع ضدَّ المعتدين كما شرع أيضًا لتأمين الدعوة؛ إذ إن الإسلام ينتشر بالدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي



أحسن، فيعرض الإسلام على الناس بالحسنى، فإن قبلوه فيها ونعمت، وإن لم يقبلوه لم يكرهوا عليه، وتعرض عليهم الجزية، فإن قبلوها فيها ونعمت، وإن لم يقبلوا الجزية ولا الإسلام ووقفوا حجر عثرة في وجه المسلمين الدعاة لدين الله يعرض عليهم القتال، ويمهلون لأخذ القرار، فإن أصروا على الكفر ومنع المسلمين من نشر الدعوة فهنا شرع الله القتال؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

فالقتال لم يشرع لسفك الدماء ولا للخراب والدمار، وإنما لتأمين الدعوة والدفاع عن الدين والنفس والعرض والمال.

وأما حديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»؛ فمعناه: أمرني ربي كما أمر الأنبياء قبلي أن أدافع المشركين المعتدين، فالمقاتلة هي المدافعة.

والناس هنا: هم المشركون والكفار المعاندون المعتدون.

ولم يثبت على مر التاريخ أن أحداً من الكفار أكرهه على الدخول في الإسلام، لا قديماً ولا حديثاً؛ بل نحن الآن في زمن ضعف المسلمين، وليس هناك جهاد ولا سيف، وما زال الناس يدخلون في الإسلام يومياً من جميع دول العالم الغربي والشرقي، بغير إكراه ولا سيف، ولم يثبت أبداً أن النبي محمداً ﷺ أكره



أحدًا من المشركين على الدخول في الإسلام أو قبوله عَنوةً، ولا عن أحدٍ من أصحابه ولا تابعيهم ولا قادة المسلمين ﷺ^(١).

٥٤- هل الإنسان مؤاخذٌ بوساوسِ النفسِ أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ} [البقرة: ٢٨٤]؛ حيث دلت الآية على أن الإنسان يؤاخذ ويُحاسب على وساوس النفس، وقوله سبحانه: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أُكْتَسَبَتْ} رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٢٨٦]؟

الجواب:

ليس هناك أدنى تعارض بين الآيتين؛ لأن الآية الثانية ناسخةٌ للأولى بفضل الله وحكمته ورحمته على هذه الأمة^(٢)، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ

(١) انظر بحثًا للمؤلف بعنوان: «طرد الوسواس عن حديث أمِرتُ أن أقاتل الناس»، رابط التحميل:.

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٩٣-٩٤).



تُخَفُّوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ [البقرة: ٢٨٤]، قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كلّفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟! بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، غُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ». قالوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير! فلما اقترأها القوم، ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: {ءَأْمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأْمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾}، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عز وجل: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}. قال: «نَعَمْ». {رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا}. قال: «نَعَمْ». {رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ}. قال: «نَعَمْ». {وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٢٨٦]. قال: «نَعَمْ».



٥٥- هل القرآن متشابه أم مُحَكَّم؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى عن القرآن العظيم: {كِتَبٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ وَتُمْ فَصِلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: ١]، وقوله سبحانه: {كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: ٢٣]، وقوله سبحانه: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ} [آل عمران: ٧]، فهل القرآن مُحَكَّم أم مُتَشَابِه، أم بعضه مُحَكَّم وبعضه متشابه؟ وهل هذا تناقض في كلام الله تعالى؟

الجواب: ليس في كلام الله تعالى أدنى تعارضٍ أو تناقضٍ؛ فمعنى قوله تعالى: {كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ}؛ أي: أنه كتابٌ مُحَكَّمٌ، غايةٌ في الأحكام والإتقان في ألفاظه ومعانيه وإعجازه وصدق أخباره، وعدل أحكامه، ليس فيه نقص ولا عيب، ولا تعارض، ولا اختلاف، ولا تناقض.

ومعنى قوله تعالى: {كِتَابًا مُتَشَبِهًا}؛ أي: آياته يشبه بعضها بعضاً في الحسن والجمال والكمال والصدق والإعجاز والسلامة من العيوب.



ومعنى قوله تعالى: {مِنْهُ ءَايَاتٌ تُحْكِمُكُمُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ}؛ أي: أن المُحَكَمَ منه واضح المعنى لكل الناس، كأمره ونهيه في قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ}، وقوله: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ}، وقوله: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ}، وقوله: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}... إلخ.

وقوله تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ}، وقوله: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، وقوله: {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ}... إلخ.

أما المتشابه فمنه ما خفي علمه وفقهه على غير الراسخين في العلم، وهو الذي يحتاج في فهمه واستنباط أحكامه للعلماء الدارسين والفقهاء العارفين بالتفسير وعلومه، وذلك بناءً على أن الواو في قوله تعالى: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} عاطفة.

وكذلك ما استأثر الله بعلمه، كمعاني الحروف المقطعة في أوائل السور، وهذا بناءً على أن الواو في قوله: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} استثنائية لا عاطفة^(١).

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٩٤).



٥٦- هل كان زكريّا مُوقِنًا بإجابة الله له بالولد أم شكّا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى عن نبيّه زكريا: {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ} [آل عمران: ٣٨]، وقوله تعالى: {قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ} [آل عمران: ٤٠]، ومثله ما ورد في آية سورة مريم؟

الجواب: ليس هناك أدنى شك ولا تعارض، فزكريا دعا ربّه وهو موقنٌ بالإجابة مُحسِنُ الظنِّ بالله، وقوله: {أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ}: استفهامٌ تعجبٍ وفرحٍ وسرورٍ، واستعظامٌ من كمالِ قدرةِ الله وعظمته وفضله وجوده وكرمه على عبده، وليس استفهامٌ شكٌّ ولا إنكار^(١).

٥٧- هل الله وحده هو الخالق أم أن بعض الخلق يخلق بعضًا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الزمر: ٦٢]، وقوله سبحانه عن عيسى بن مريم: {أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ} [آل عمران: ٤٩]، وقوله: {وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ}؟

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٩٦).



الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ في أن الله وحده هو الخالقُ البارئُ المصورُ سبحانه وتعالى؛ فعيسى لم يخلق بذاته، وإنما الذي يخلق هو الله وحده؛ وأنعم على عيسى عليه السلام بآية جعلها الله دالةً على صدق نبوته؛ أنه يأتي بالطين فيصوره على هيئة طير؛ ولكن الذي ينفخ فيه الروح هو الله وحده، بدليل قوله تعالى في الآية: {وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ}، فالذي منح هذه الروح هو الله، وليس عيسى، فهذه الآية بخلق الطير في هذه الحالة كانت معجزةً من الله؛ ليؤيد بها عيسى على صدق نبوته ورسالته.

وأما قول الله تعالى: {وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا}؛ فهي بيان لحال المشركين الذين يصنعون أصناماً بأيديهم، ثم يعبدونها من دون الله، ويزعمون أنها آلهة، وهذا هو أعظم الكذب، فقولُه تعالى: {وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا}؛ أي: وتكذبون كذباً واضحاً، فقد صنعتم الأصنام بأيديكم، ثم كذبتهم وزعتم أنها آلهة، ثم عبدتموها، فاطلبوا الرزق من الله وحده، واعبدوه واشكروه وحده، وتوبوا إليه يصلح لكم حالكم، ويغفر ذنوبكم^(١).

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٩٦)، والتفسير الميسر (ص ٣٣٢).



٥٨ - هل مات عيسى عليه السلام أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مَتَّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران: ٥٥]، وقوله سبحانه: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} [النساء: ١٥٧]، وقوله: {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا} ١٥٧ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}، وقوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ}؛ أي: قبل موت عيسى عليه السلام في آخر الزمان، فهل عيسى مات وتوفاه الله؟ أم أنه ما زال حيًّا، وسيموت في آخر الزمان؟ وهل هذا تناقض في كلام الله رب العالمين؟

الجواب: ليس في كلام الله تعالى أدنى تناقض أو تعارض، وإنما التعارض في أفهام الجاهلين والمُغرضين، والله جل وعلا مُنزهٌ عن كلِّ نقصٍ وعيبٍ، فهو السُّبُّوحُ القُدُّوسُ، فعيسى عليه السلام لم يُقتل، ولم يُصلب، ولم يمُت، ولم يُدفن، ولم يُبعث من قبره، وقوله تعالى: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}: فالوفاة هنا لها معنيان:

الأول: النوم: أي: إني مُلِّقٌ عليك النومَ، ورافعُك إليَّ، إلى السموات العلى، ومُنجِّيك من هؤلاء الكفرة الذين يريدون قتلك، كما قتلوا غيرك من الأنبياء كزكريا ويحيى عليهما السلام، والدليل على أن الوفاة هنا بمعنى النوم قوله



تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ}، ومعنى يتوفانا بالليل؛ أي: يلقي علينا النوم بالليل للراحة والسكون.

وقوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} : فالله يتوفى النفس التي لم تمت في منامها، فالنوم نوع من الوفاة، ومن السنة إذا استيقظنا من النوم أن نقول: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^(١)، فسمى النبي ﷺ النوم موتاً.

المعنى الثاني: القبض والحيازة، فيكون معنى {مُتَوَفِّيكَ}؛ أي: قابضك وأخذك ومُنَجِّيكَ منهم حياً قبل أن يقتلوك، كما نقول: توفى فلان دينه؛ أي: قبض دينه، وأخذه، وحازَه، واستلمَه.

فمعنى قوله تعالى: {مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}؛ أي: أُلقي عليك النوم، وأخذك من بين أيديهم حياً قبل أن يقتلوك، وأرفعك إليّ، ثم أُرَدُّكَ إلى الأرض في آخر الزمان حكماً عادلاً وإماماً مُقْسِطاً، تكسر الصليب، وتقتل الخنزير، وتضع الجزية، فلا تقبل إلا الإسلام، فحينها ما من أحد من أهل الكتاب من اليهود ولا النصارى إلا ويؤمن به أن عيسى ﷺ عبد الله ورسوله.

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٢) ومسلم (٦٩٨٦).



وسوف يتوفاه الله في آخر الزمان بالموت كما مات غيره من الأنبياء والرسل،
ويصلي عليه المسلمون صلاة الجنازة، ويدفن في باطن الأرض كما دفن غيره
من الأنبياء^(١). والله تعالى أعلم.

٥٩- هل كان إبراهيم ﷺ حنيفاً مسلماً من صغره أم كان مشركاً ثم أسلم؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا
وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [آل عمران: ٦٧]، وقوله تعالى:
{فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ
(٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ
مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا
أَفَلَتْ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ}، فهل عبد إبراهيم ﷺ الكوكب والقمر
والشمس قبل الإسلام، أم أنه كان مسلماً آتاه الله رُشدَه من صغره؟

الجواب: ليس في كلام الله أدنى تعارض، وإبراهيم ﷺ لم يشرك لا في صغره
ولا في كبره؛ بل فطره الله على الإسلام منذ نعومة أظفاره، وحفظه عليه إلى أن
توفاه الله؛ بدليل قوله تعالى: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ
عَلِيمِينَ} [الأنبياء: ٥١].

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/٤٤٧-٤٥٠)، ودفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٩٧-٩٩).



وإبراهيم ﷺ لم يعبد كوكبًا ولا قمرًا ولا شمسًا قط، وإنما أراد إبراهيم ﷺ أن يقيم الحجة على قومه من عبادة الكواكب والشمس والقمر، فتَنَزَّلَ معهم في مقام المناظرة لإقامة الحجة عليهم، فقال عن الكوكب والشمس والقمر: «هذا ربِّي»؛ لِيُبَيِّنَ لهم أن هذه مخلوقات مأمورة ومُسَخَّرَةٌ، تظهر وتُغيبُ، والمخلوق لا يصلح أن يكون إلهًا، والذي يَغيبُ عن الخلق لا يصلح أن يكون إلهًا، وأثبت لهم أنها ليست آلهة، وتَبَرَّأَ مِنْ شُرِكِهِمْ وكفَرَهُمْ وعبوديتهم الباطلة لهذه المخلوقات، فقال في آخر المناظرة: {يَقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ}.

فإبراهيم ﷺ كان منظرًا، لا ناظرًا، وكان مقصوده التسليم الجدلي، فالمناظر قد سلَّمُ المقدمة الباطلة تسليمًا جدليًا؛ لِيُفْحِمَ بذلك خصمه، ويقيم عليه الحجة، ويظهر باطله^(١).

فما فعله إبراهيم ﷺ كان من باب التَّنَزُّلِ مع الخصم في المناظرة لإقامة الحجة عليه.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٢-٢٩٣)، ودفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٠٠)، وبحث

«الرد على النصارى» للمؤلف، وينشر قريبًا إن شاء الله.



وجميع الأنبياء معصومون من الشرك وكبائر الذنوب قبل بعثتهم وبعد بعثتهم، قال تعالى عن إبراهيم ﷺ: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

٦٠- هل الله يقبل التوبة أم لا يقبلها؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ} [آل عمران: ٩٠]، وبين الآيات الدالة على قبول توبة الله للعبد إذا تاب، حتى تطلع الشمس من مغربها ما لم تُغرغر الروح، كقوله تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} [الأنفال: ٣٨]، وقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ}، وقوله تعالى: {قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣]؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض في كلام الله تعالى، وإنما المراد من قوله تعالى: {لَّنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ}؛ أي: إذا تابوا عند الغرغرة؛ أي: عند خروج الروح ومُعَايِنَةِ الموت، أو إذا تابوا عند طلوع الشمس من مغربها؛ لقول الله تعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [١٧] وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ



يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [النساء: ١٧-١٨]، ولقوله تعالى: {فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا} [غافر: ٥٨]، ولقوله في حق فرعون لَمَّا أَرَادَ التَّوْبَةَ عِنْدَ مَعَايِنَةِ الْمَوْتِ وَالْعَذَابِ حِينَئِذٍ قَالَ: {حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ}، فقال الله تعالى: {ءَاَلَتْنِ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس: ٩٠-٩١].

ولقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(١)، ولقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يَغْرُغْ»^(٢).

ولقول الله تعالى: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنْتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ أَنْتَظِرُوا إِنَّآ مُنْتَظِرُونَ} [الأنعام: ١٥٨].

فقوله تعالى: {لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ}؛ أي: إذا تابوا عند خروج الروح أو عند طلوع الشمس من مغربها.

(١) أخرجه مسلم (٢٣٢٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٣٧)، وحسنه الألباني.



وقوله تعالى: {لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ} يشمل أيضاً توبتهم الأولى التي كانت قبل الردّة، فإنها غير مقبولة؛ لأنها صارت مُحِبَّةً بالردّة والكفر بعد الإسلام؛ لقول الله تعالى: {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾}

[البقرة: ٢١٧]؛ لأن الردّة من مُحِبَّاتِ الأفعال^(١). والله أعلم.

٦١- هل يُشَدُّ العبدُ على نفسه في التقوى أم حسب استطاعته؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ} [آل عمران: ١٠٢]، وقوله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن: ٦٦]؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض، وليس هناك نسخ كما قرره بعض العلماء؛ ولكن الآية الثانية مفسّرة وموضحة للمراد من الأولى، فحق التقوى هو أن يتقي العبدُ ربه حسب استطاعته؛ لقول الله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا ءَاتَلَهَا}، ولقوله سبحانه: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}، ولقول النبي ﷺ: «مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»^(٢).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٧٣)، ودفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٨).



ولمَّا رأى النَّبِيُّ ﷺ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرو يَشُقُّ على نَفْسِهِ في العبادَةِ بِصَوْمِ الدَّهْرِ وقيامِ اللَّيْلِ كُلِّهِ، وقراءةِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، أَرشَدَهُ ورَشَدَهُ إلى حَدِّ الوَسْطِيَّةِ والاعتدالِ، وقالَ له ﷺ: «خَيْرُ الْقِيَامِ قِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَخَيْرُ الصَّيَامِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا»، وقالَ له عَنِ الْقُرْآنِ: «لَا يَفْقَهُهُ مَنْ يَقْرَؤُهُ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ»^(١)، وذلكَ بعدَ أن رَشَدَهُ إلى أَقَلِّ مِنْ ذَلِكَ؛ حتَّى لَا يُحْمَلَ نَفْسَهُ فَوْقَ طَاقَتِهَا.

ولمَّا عَلِمَ بِخَبَرِ الشَّبَابِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا أَقُومُ اللَّيْلَ وَلَا أَرْقُدُ، وقالَ الْآخَرُ: وَأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وقالَ الثَّالِثُ: أَنَا لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَأَنْكَرَ ﷺ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وقامَ خُطيبًا في النَّاسِ قَائِلًا: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ: كَذَا وَكَذَا...»، ثم قالَ: «أَمَّا أَنَا فَأَقُومُ وَأَرْقُدُ، وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^(٢).

ولمَّا رأى رَسولُ اللَّهِ ﷺ حَبَلًا مَمْدودًا بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَأُخْبِرَ بِأَنَّهُ حَبْلٌ لَزَيْنَبَ، إِذَا تَعَبَتْ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ تَسْتَنْدُ عَلَيْهِ، فقالَ ﷺ: «اكْلَفُوا مِنْ

(١) أخرجه أحمد (٦٥٤٦)، وأبو داود (١٣٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).



الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا^(١)، وقال ﷺ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»^(٢).

فدل ذلك على أن حقَّ التقوى الوارد في الآية الكريمة هو أن يأتي الإنسان من العمل الصالح ما استطاع، وأن يجتنب المحرمات كافة. والله أعلم.

وبذلك يتضح أنه ليس هناك أدنى تعارضٍ ولا تناقضٍ بين الآيات، وإنما هو كلامُ الله يُفسَّرُ بعضُهُ بعضًا^(٣).

٦٢- عددُ الملائكة في بدرٍ: هل كانوا ألفاً أم ثلاثة آلاف أم خمسة آلاف؟

هل هناك تعارضٌ بين قولِ الله تعالى عن عددِ الملائكة في غزوة بدر: {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ} [١٢٤] بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلَفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ} [آل عمران: ١٢٤-١٢٥]، وقوله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآَلَفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال: ٩]، فهل المددُ بآلفٍ أم بثلاثةٍ أو بخمسة؟

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٥)، ومسلم (٧٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم (٧٨٣).

(٣) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١١٣).



الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ بين الآياتِ والعدد، فقولُه تعالى: {بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ} بكسر الدالِ وفتحها؛ أي: يأتي بعضهم في أعقابِ بعضٍ، أو يُتبعون بغيرهم على قراءة الفتح؛ أي: متبوعين بغيرهم، فوعدهم أولاً بألفٍ، ثم أردفهم بغيرهم، فصاروا ثلاثة آلاف، ثم أتبعهم بغيرهم، فصاروا خمسة آلاف.

وليس هناك أدنى تعارضٍ ولا إشكالٍ^(١).

٦٣- هل الغم يُحزن أم لا يُحزن؟

هل هناك تناقضٌ أو غرابةٌ في قولِ الله تعالى عن الصحابةِ في غزوةِ أُحُدٍ لما أصابهم قتلٌ وهزيمةٌ: {فَأَثْبَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ لَّكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ} وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ [آل عمران: ١٥٣]، فهل الغمُّ يُحزنُ أم لا يُحزنُ؟

الجواب: ليس هناك تناقضٌ ولا غرابةٌ في كلامِ الله تعالى؛ لأن هذه الآية: {فَأَثْبَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ لَّكَيْلًا تَحْزَنُوا} متعلقةٌ بما قبلها بقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَّا نُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّن

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١١٧).



يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ { [آل عمران: ١٥٢].

فيكون المعنى: {أثابكم غمًّا بغيرٍ}: غمُّ الهزيمة، وغمُّ القتل، ولقد عفا عنكم؛ لكيلا تحزنوا، ثم إنه سبحانه غمَّكم هذا الغم؛ لكي تتمرنوا على نوائب الدهر، فلا يحصل لكم الحزن في المستقبل؛ لأن من اعتاد الحوادث لا تؤثر عليه^(١).

٦٤- هل العدل بين الزوجات ممكن أم لا؟

هل هناك تناقض بين قول الله تعالى في أمر تعدد الزوجات والعدل بينهما: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً} [النساء: ٣]، وقوله تعالى: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ} [النساء: ١٢٩]؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض ولا تناقض بين الآيتين؛ لأن العدل عدلان: عدلٌ ممكنٌ، وعدلٌ غير ممكنٍ، فالعدل الممكن يكون في الحقوق الشرعية المقدور عليها، كحق المبيت، والكسوة، والمسكن والمطعم ونحو ذلك.

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١١٨).



وأما العدلُ غيرُ الممكنِ فهو الميلُ القلبيُّ بالمحبةِ والميلُ الطبيعيُّ؛ لأن هذا انفعالٌ وليس فعلاً، والمقصود أن مَنْ كان عنده ميلٌ طبيعيٌّ بمحبةٍ زائدةٍ لإحدى نسائه، فليَتَّقِ اللهَ وليَعْدِلْ في الحقوقِ الشرعيةِ التي يَمَكِنُ العدلُ فيها، ولا يميلُ ولا يجورُ^(١).

٦٥- هل الزانية تُحبس في البيت حتى الموت، أم تُجلدُ البكرُ وترجمُ الثيبُ؟

هل هناك تعارض بين قولِ الله تعالى في حق الزانية: {وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ اَرْبَعَةٌ مِّنْكُمْ ۖ فَاِنْ شَهِدُوا فَاَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ اَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} [النساء: ١٥]، وقوله تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةً وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ}، وبين قولِ النبي ﷺ في حق الزاني غير المُحصَن: «عَلَى ابْنِكَ جَلْدٌ مِّئَةً وَتَغْرِيبُ عَامٍ»، وقال في حق المرأة الثيب: «وَاعْدُ يَا أُنَيْسُ عَلَى امْرَأَةٍ هَذَا، فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَأَرْجُمُهَا»، فاعترفت، فأمر برجمها^(٢).

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض، فقوله تعالى: {وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ اَرْبَعَةٌ مِّنْكُمْ ۖ فَاِنْ شَهِدُوا فَاَمْسِكُوهُنَّ فِي

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٢)، ودفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣١٤)، ومسلم (١٦٩٧).



الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّعْنَ الْمَوْتَ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} : كان في أول الأمر قبل تشريع حدِّ الزَّنا، ثم نُسِخَ هذا الحُكْمُ بتشريع حدِّ الزَّنا في سورة النور بجلد الزاني غير المُحصَن، وفي السُّنة الصحيحة برَّجَم الزاني المُحصَن، وهذا هو السَّبِيل الذي وعدَ اللهُ به في قوله تعالى: {أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} ^(١).

٦٦- هل يُجمَع بين الأختين في النكاح؟ أم لا؟

هل هناك تعارضٌ بين قولِ الله تعالى في آية المحرِّمات في الزواج: {وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ} [النساء: ٢٣]، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} [المؤمنون: ٥-٦].

فهل يجوزُ للرجل أن يجمَعَ بين أختين مِلَك يمين؟

الجواب: ليس هناك تعارضٌ بين الآياتِ البيِّناتِ، فقوله تعالى: {وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ} عامٌّ في النهي عن الجمع بين أيِّ أختين، سواءً كانتا مِلَك يمين، أو كانتا من الحرائر، أو من الرِّضاع بإجماع المسلمين؛ لأن الآية في سورة النساء التي تُبيِّن أحكام النساء وفي معرض المحرِّمات من الزواج، وكذلك مَوْطُوءَةُ الأب من الإماء لا تحلُّ لولده بالإجماع؛ لعموم قولِ الله تعالى: {وَلَا

(١) انظر: ابن كثير (٢/ ٢٣٣)، ودفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٢٢-١٢٣).



{تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ}، علاوةً على أن الأصل في الفروج التحريم؛ حتى يدل دليل لا معارض له على الإباحة.

كذلك العموم المقتضي للتحريم أولى من المقتضي للإباحة؛ لأن ترك مباح أهون من ارتكاب محرم^(١).

وأما إباحة ملك اليمين ففي غير ما حرّمه الله، فيحرّم الجمع بين الأختين من الإماء، وكذا لو كانت إحداهما حرّة، والأخرى أمة، وكذلك يحرم الجمع بين الأختين من الرضاة، كما يحرم الزواج من الأختين الحرائر تماماً.

٦٧- هل الزانية البكر تجلّد مئة جلدة أم خمسين جلدة؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى في حقّ الأمة الزانية بكراً كانت أم ثيباً: {فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ} [النساء: ٢٥]، وقوله تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ}، فهل هي مئة أم خمسون؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض ولا تناقض، وإنما الخمسون جلدة في حقّ الأمة الزانية، سواء كانت بكراً أم ثيباً، وهذا حكم خاصّ بالإماء دون الحرائر بإجماع المسلمين، وأمّا المرأة الحرّة إذا زنت فإنّها تجلّد مئة جلدة إذا

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٢٢-١٢٣).



كانت بكرًا، وتُقتل رَجْمًا بالحجارة إِنْ كانت ثيبًا، وهذا عامٌ للحرائرِ دون الإمام^(١).

٦٨- هل شرعُ الأنبياء قبلنا شرعٌ لنا أم لا؟

هل هناك تعارض بين قولِ الله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} [النساء: ٢٦]، ومثله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنُهُمْ أَقْتَدِهِ} [الأنعام: ٩٠]، وبين قوله تعالى: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ ولا تناقضٍ في كلامِ الله تعالى، فقوله تعالى: {وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ}؛ أي: أن الله أمرنا بما أمر به مَنْ كان قبلنا من الأنبياء والرسل في أصول الدين، كأركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان الستة، فهي واحدةٌ في جميع الشرائع، وعند جميع الأنبياء، والله هدانا وأمرنا، وشرع لنا جميع أصول الدين التي جاء بها الأنبياء قبلنا، بدليل قولِ الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}، وقوله: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}، فجميعُ الأنبياء جاؤوا بدعوةٍ واحدةٍ ألا وهي التوحيد.

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٣٨).



قال النبي ﷺ: «وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»، وهذا معنى قول الله تعالى: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}، فمعنى «أُمَهَاتُهُمْ شَتَّى»؛ أي: شرائعهم قد تختلف في بعض الفروع؛ ولكن الأصول واحدة، كالصلاة، فهي عند جميع الأنبياء وفي جميع الشرائع، وهذا أصل، ولكنها عندنا خمس، ولعلها عند غيرنا عشر أو أقل أو أزيد.

فالله هدانا سنن الذين من قبلنا من الأنبياء والرسل في جميع أصول الدين، وهدانا سنتهم في كثير من الشرائع، كلهم فيها سواء؛ ولكن بعض الشرائع راعى الله فيها بحكمته ظروف الزمان والمكان والأشخاص والأحوال، فهناك بعض المباحات عندهم حرّمها الله عندنا، وبعض المحرمات عندهم أحلّها الله لنا، كحلّ الغنائم لنا وتحريمها عليهم، وحلّ شحوم الذبائح لنا، وتحريمها على بني إسرائيل، ونحو ذلك.

فليس هناك أدنى تعارض بين الآيات، فشرع من قبلنا شرع لنا إذا ورد به شرعنا، وإن ورد شرعنا بخلافه فهو منسوخ، فقد صام النبي محمد ﷺ يوم



عاشوراء؛ شكرًا لله؛ كما صامَه موسى عليه السلام، وسجدَ النبي محمد ﷺ سجدةً تلاوةً كما سجدها داود ﷺ كما في سورة: «ص»، فصار ذلك شرعًا لنا^(١).

٦٩- هل يرث أولو الأرحام أو الحلفاء؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ} وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا { [النساء: ٣٣]؛ أي: الذين تحالفتم وتعاهدتم معهم بالآيمان المؤكدة على النصرة والمواريث، فأعطوهم حقهم ونصيبهم الذي اتفقت عليه، وهذا نص في الميراث بالتحالف والتعاقد، وبين قوله تعالى: {وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} [الأنفال: ٧٥]؛ أي: أن أولي الأرحام الذين ذكرهم الله في كتابه هم أحق بالميراث بعضهم من بعض، فمن الذي يستحق الميراث: الحلفاء أم أولو الأرحام؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض في كلام الله تعالى؛ لأن الميراث بالتحالف والتعاقد قد كان مشروعًا في أول الإسلام، ثم نسخ ورفع حكمه بآيات

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٢٩)، أصول الفقه، لعبد الوهاب خلاف (ص ١٢٣)، الأصول من الأصول، لابن عثيمين (ص ١٢٨).



المواريث، فالذين يَرثون هم أولو الأرحام من أصحاب الفروض والعصبات، فلا تعارض ولا إشكال.

وأما الموالاتة على المحبة والنصرة فباقية إلى يوم القيامة^(١).

٧٠- هل السيئات من عند الله أم من عند الإنسان؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ} [النساء: ٧٨]، وقوله تعالى: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ} [النساء: ٧٩]؟

الجواب: القرآن كلام الله، وليس فيه أدنى تعارضٍ أو تناقضٍ؛ ولكن يجب أن نفهم القرآن على مُرادِ الله ورسوله، لا على هوى الكذابين، أمّا قوله تعالى: {وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}؛ أي: إذا أصابهم الرزق والعافية ورغد العيش قالوا: هذا من رزق الله، {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ}؛ أي: يتشاءمون بالنبي ﷺ، ويقولون له: هذا شؤمك وشؤم ما جئت به! كما قال الكفار من قبل للأنبياء، قال الله عن فرعون وقومه لموسى عليه السلام: {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ} [الأعراف: ١٣١]، وقال

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩١-٢٩٢)، دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٣٠).



تعالى عن قوم صالحٍ لنبيهم صالحٍ عليه السلام: {قَالُوا أَطِیرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَّعَكَ} [النمل: ٤٧]، وقال تعالى عن أصحابِ القريةِ للرسلِ الثلاثة: {قَالُوا إِنَّا تَطِيرُنَا بِكُمْ لَیْن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِیمٌ} [یس: ١٨].

والله جل وعلا في هذه الآية يحكي مقالة الكفار للنبي ﷺ، فقال الله تعالى له: {قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ}؛ أي: قل لهم يا محمد: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}، فالذي يُقدِّرُ السَّراءَ والضَّرَّاءَ هو الله وحده.

وأما قول الله تعالى: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}؛ أي: من فضل الله وحده لا شريك له، {وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ}؛ أي: بشؤم ذنبك وعملك وسعيك، كما قال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ}؛ أي: يصيبك الله بالمصائب بسبب كسبك الخبيث للذنوب والمعاصي^(١).

٧١- هل القاتل عمدًا له توبة أم لا؟ وهل هو مخلدٌ في النار أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء: ٩٣]، وبين قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} [الزمر: ٥٣]، وقوله:

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦٣)، ودفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٣١).



{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ١١٦]،
وقوله سبحانه: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَعَّفُ لَهُ
الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا
صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}
[الفرقان: ٦٨-٧٠]؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ في كلام الله؛ لأن معنى قوله تعالى: {وَمَنْ
يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ هُوَ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ
لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} إن مات ولم يعف الله عنه؛ أو لم يتب من هذا الذنب، أو كان
مستحلاً للقتل ولم يتب منه.

فالقاتل المتعمد له هذا الوعيد إن لم يتب، وإن لم يتجاوز الله عنه، أما إن
تاب وتجاوز الله عنه فهنا ينطبق عليه قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
جَمِيعًا}، وقوله: {وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى}،
وقوله: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ
حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}.



ومعنى قوله: {فَجَزَّأُوهُ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا}: فالخلودُ نوعان: خلودُ الكفار، وهو الخلودُ الأبديُّ، وخلودُ عصاةِ الموحِّدين، وهو بمعنى المكثِ الطويلِ في جهنَّمَ، أعاذنا الله منها^(١)!

٧٢- هل ذبائح الكفار يحلُّ أكلها أم لا؟ وهل ما لم يُذكر اسمُ الله عليه حلالٌ

أم لا؟

هل هناك تعارضٌ بين قولِ الله تعالى: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ}، فدلَّت الآيةُ على جوازِ الأكلِ من ذبائحِ أهلِ الكتابِ مع أنهم يقولون: باسمِ الصليب، أو يقولون: الآب والابن والروح القدس، ونحو ذلك، فهذه الذبائحُ ليس مذكورًا عليها اسمُ الله، وبين قوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} [الأنعام: ١٢١]، وقوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} [المائدة: ٣] [النحل: ١١٥]، ومعلومٌ أن أهلَ الكتابِ قد يذبحون لغيرِ الله، كالذبحِ للمسيحِ أو لمريمَ أو للقديسين ونحو ذلك، ومعلومٌ أنهم قد لا يذكرون اسمَ الله عليها، فهل هناك تعارضٌ في كلامِ الله؟

(١) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٣٤١-٣٤٢)، دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٣٧-١٤١).



الجواب: ليس في كتاب الله أدنى تناقضٍ ولا تعارضٍ؛ فقولُ الله تعالى: {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ}، هذه في ذبائِحهم باتفاق العلماء، فيجوزُ للمسلمين أن يأكلوا من ذبائِح أهل الكتاب، سواءً كانت مذبوحَةً على اسمِ الله أم على غيرِ اسمِ الله، فالله جل وعلا أخبرنا عنهم بأنهم كفَّارٌ؛ لأنهم يقولون: «المسيحُ هو الله» و«ابنُ الله» و«ثالثُ ثلاثة»، واليهودُ كذلك لكفرهم بعبسى ومحمدٍ وجحودهم للقرآن والإنجيل وقولهم: «عزيرُ ابنُ الله».

ويعلمُ الله عنهم أنهم يذبَحون على غيرِ اسمِ الله كذبِحهم على اسمِ الصليب أو المسيح أو مريمَ البتولِ ونحو ذلك، ومع ذلك أباح لنا الأكلَ من ذبائِحهم، وقد دُعيَ النبيُّ محمدٌ ﷺ عند المرأة اليهودية، فأكلَ من الشاةِ المسمومةِ هو وأصحابه، مع علمه بكفرهم وعداوتهم لله ورسوله والمؤمنين^(١)، وأكل ﷺ عند

(١) أخرجه البخاري (٢٦١٧)، وفيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن يهوديةً أتت النبي ﷺ بشاةٍ مسمومةٍ، فأكلَ منها، فجيءَ بها فقيل: ألا تقتلُها، قال: «لا»، فما زلتُ أعرفُها في لهواتِ رسولِ الله ﷺ.



يهوديٍّ آخرَ خبزَ شعيرٍ وإِهَالَةً سَنَخَةً^(١)، وهي شحومُ الذبيحة، وقد أقرَّ ﷺ عبدُ الله بنَ مُغَفَّلٍ حينما أخذَ جرابًا من شحمِ اليهودِ في يومِ خيبر^(٢).

فدَلَّ ذلكَ كُلُّهُ على أن الأكلَ من ذبائحِ كفارِ أهلِ الكتابِ من اليهودِ والنصارى حلالٌ للمسلمين على العموم، سواءً ذبحوها على اسمِ الله أم لا، أو ذبحوها لله أم لا.

أما قوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} : فهي في حقِّ ذبيحةِ الكافرِ غيرِ الكتابي، فلا تحلُّ ذبائحُهم باتفاقِ العلماء.

وكذلك هي في حقِّ المسلمِ الذي لم يذْكَرِ اسمَ الله على الذبيحة، وفي حقِّ الكافرِ الذي يذبحُ لغيرِ الله، وكذلك في حقِّ المسلمِ الذي يذبحُ لغيرِ الله تعالى، كالذبحِ للأولياءِ الصالحين، أو للجنِّ، أو تحت أرجلِ الملوكِ والعظماء، ونحو ذلك مما يذبحُ لغيرِ الله.

(١) أخرجه البخاري (٢٠٦٩)، وفيه عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ مَشَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخُبْزِ شَعِيرٍ، وَإِهَالَةٍ سَنَخَةٍ، وَلَقَدْ رَهَنَ النَّبِيُّ ﷺ دِرْعًا لَهُ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، وَأَخَذَ مِنْهُ شَعِيرًا لِأَهْلِهِ.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧٢)، وفيه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، قَالَ: أَصَبْتُ جِرَابًا مِنْ شَحْمٍ، يَوْمَ خَيْبَرٍ، قَالَ: فَالْتَزَمْتُهُ، فَقُلْتُ: لَا أُعْطِي الْيَوْمَ أَحَدًا مِنْ هَذَا شَيْئًا، قَالَ: فَالْتَمْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَبَسِّمًا.



الخلاصة:

أن ذبائح كفارِ أهلِ الكتابِ حلالٌ للمسلمين، سواءً ذبحوها لغيرِ الله أو على غير اسم الله.

أما ذبائح كفارِ غيرِ أهلِ الكتابِ كالمجوسِ والوثنيين والصابئة والشيوعيين والبوذيين ونحوهم فهي حرامٌ على المسلمين، سواءً ذكروا عليه اسمَ الله أم لا، وسواءً ذبحوها لغيرِ الله أم لا، المهمُّ ثبوتُ أن الكتابيَّ يذبحُ، ولا يصعقُ بالكهْرُبَاءِ، فإذا ثبت يقيناً أنهم يذبحون فذبيحتهم حلالٌ.

فليس هناك أدنى تناقضٍ بين الآياتِ، فلكلِّ آيةٍ حكمٌ يخصُّها.

٧٣- هل حكمُ النبيِّ بين أهلِ الكتابِ على التخيير أم الحتم؟

هل هناك تعارضٌ بين قولِ الله تعالى عن أهلِ الكتابِ: {فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ} [المائدة: ٤٢]، وقوله تعالى: {وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} [المائدة: ٤٩]؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ بين الآياتِ؛ ولكن المعنى: إن جاؤوك يريدون منك أن تحكم بينهم في قضاياهم فاحكم بينهم بما أنزل الله إليك في الكتاب والسنة، لا بأحكامهم هم ولا باتباع أهوائهم، فإن قبلوا حكمك بما أنزل الله، وإلا فاعرض عنهم ودعك منهم.



٧٤- هل شهادة الكافر مقبولة أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى عن الشهادة في السفر عند عدم وجود مسلمين: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهْدَةَ اللَّهِ إِنَّآ إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ} (المائدة: ١٠٦)، وبين قول الله تعالى عن اشتراط العدالة في الشهود: {وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ} [الطلاق: ٢]، {مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ} [البقرة: ٢٨٢]، {وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَدَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: ٤]، وذلك في حق المسلم القاذف؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض، فالأصل وجوب اشتراط العدالة في الشهود، إلا في حالة السفر خارج محل الإقامة، وليس هناك من المسلمين من يشهد على وصية الذي حضره الموت، ليس هناك إلا كفار، فتجوز في هذه الحالة شهادة الكافر على وصية المسافر، للضرورة والمصلحة، فلا نسخ ولا تعارض ولا إشكال^(١).

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٦٨).



٧٥- هل الذي يجالس الخائضين في آيات الله آثم أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الأنعام: ٦٩]، والتي قد نفهم منها أن مَنْ جالس الخائضين في آيات الله لا إثم عليه، وقوله سبحانه: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنْفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} [النساء: ١٤٠]، والتي دلّت على أن مَنْ جالس الخائضين المستهزئين فهو آثم مثلهم، فهل هذا تناقض في كتاب الله؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض ولا تناقض؛ لأن قوله تعالى: {وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}؛ معناه أن الذي اتقى مجالسة الكفار عند خوضهم في آيات الله، ولم يُشاركهم في ذلك فلا إثم عليه من آثام الكفار. والآية الثانية معناها أنه يجب على أهل الإيمان ألا يقعدوا مع هؤلاء الخائضين المستهزئين، فلا يجالسونهم، ولا يمالؤونهم على كفرهم؛ لأنهم لو شاركوهم لكانوا مثلهم في الوزر والإثم^(١).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٧٨)، دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٧٣).



٧٦- هل القرآن نزل لمكة وما حولها فقط؟ أم أنه للناس كافة؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} [الأنعام: ٩٢]، ومثله قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} [الشورى: ٧]، وبين قول الله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان: ١]، ومثله قوله تعالى: {قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: ١٥٨]، ومثله: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ}؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض في كتاب الله، فالقرآن نزل للناس كافة، ورسالة النبي محمد ﷺ للناس كافة، للثقلين: الإنس والجن على العموم، ومعنى قوله تعالى: {لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا}؛ أي: ومن حولها من بلاد العالم كله، بدليل قوله تعالى عن القرآن؛ ليكون للعالمين نذيرًا، وبخاصة أن مكة المكرمة تتوسط الكرة الأرضية^(١).

٧٧- هل عذاب الكفار في النار ممدودٌ بمدةٍ ثم ينقطع أم هو خلودٌ أبديٌّ؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى عن المشركين المعذبين في النار: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [النساء: ٥٧]، وقوله: {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَعَدَّ لَهُمْ

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٧٤).



سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا { [الأحزاب: ٦٣-٦٥]، وبين قوله تعالى: { قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ } [الأنعام: ١٢٨]، وقوله: { فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ } [هود: ١٠٦-١٠٧]، وقوله: { لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا } [النبا: ٢٣] ؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض؛ لأن معنى قول الله تعالى: { خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ }؛ أي: إلا ما شاء الله عدم خلوده فيها من عصاة الموحدين.

فلا يُخَلَّدُ في النار موحِّدٌ، فأهل التوحيد الذين يُعَذَّبون في النار، يُعَذَّبون على قدر ذنوبهم، ثم يُخَرَّجون منها إلى الجنة، كما ورد في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ.

أما الكفار والمشركون والمنافقون فهم خالدون فيها أبداً، ومعنى قوله تعالى عن عذاب الكفار في النار: { لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا }؛ أي: ماكثين فيها دهوراً متعاقبة لا تنقطع؛ أي: خالدين فيها أبداً، فلا تعارض ولا إشكال، والله أعلم^(١).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣٩)، دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٧٩).



٧٨- هل الله تعالى شاء الكفر والشرك أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام: ١٤٨]، وقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا} [الأنعام: ١٠٧]، وقوله: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى} [السجدة: ١٣]، وقوله: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}، وبين قوله تعالى: {كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} [الأنعام: ١٤٨]، وقوله: {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ} [الزخرف: ٢٠]؟

الجواب: أنه ليس هناك أدنى تعارض في كتاب الله تعالى ولا في أحكام الله، فالله تعالى أراد الشرك والكفر قدرًا، ولم يُرِده شرعًا، والله لا يحبُّ الكفر ولا يرضاه، قال الله تعالى: {أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}، قال تعالى: {وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}، فالله تعالى نهى عن الكفر والشرك شرعًا، ولم يأمر عباده بهما أبدًا، وإنما أرادهما قدرًا، فالله تعالى جعل الإيمان والكفر، وأرسل إلينا رُسُلًا، وأنزل علينا كتبًا دعانا فيها إلى كل خير، ونهانا فيها عن كل شرٍّ، وترك لنا حرية واختيارًا، فقال: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ}، ووعد المؤمنين



بالجنة، وتوعد الكافرين بالنار، ولم يُجبر أحدًا على الكفر ولا الشرك، فالذي أشرك وكفر فعل ذلك بحريته واختياره، فكان جزاؤه النار وبئس القرار!

وقال الله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾} اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

فقول المشركين: {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا} {لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ}: كلمة حقُّ أريد بها باطل، فقد احتجوا بالإرادة الكونية، ولم يحتجوا بالإرادة الشرعية.

فالله تعالى أراد الكفر والشرك والشرَّ قَدْرًا وكونًا، ولم يُرِدْ شرعًا، ولم يأمر به أبدًا، وإنما نهى عنه، وتوعد مَنْ فعله بالعذاب الأليم، فهم كذبوا على الله وعلى أنفسهم وهم يعلمون.



٧٩- هل حَرَّمَ اللهُ الإحسانَ للوالدين أم لا؟

هل هناك تناقض في قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا} [الأنعام: ١٥١]، فهل الله حَرَّمَ علينا الإحسانَ للوالدين أم لا؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ أو تناقضٍ؛ لأن معنى {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ} ؛ أي: ما حَرَّمَ عليكم ربُّكم فعله، وما حَرَّمَ عليكم تركه، فقد حَرَّمَ عليكم فعلَ الشركِ والقتلِ والفواحشِ... إلخ، وحَرَّمَ عليكم تركَ الإحسانِ للوالدين، وعليه فلا إشكالَ ولا تعارضَ أبداً، وقد وردت الآياتُ والأحاديثُ الكثيرةُ في الوصيةِ بالإحسانِ والبرِّ للوالدين. والله أعلم.

٨٠ - هل يُسألون في القيامة أم لا؟

هل هناك تعارضٌ بين قولِ الله تعالى: {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} [الأعراف: ٦]، {وَفَقَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} [الصافات: ٢٤]، وبين قوله تعالى: {وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} [القصص: ٧٨]، وقوله: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن: ٣٩]، فهل هم يُسألون أم لا يُسألون؟



الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ ولا تناقضٍ في كتابِ الله؛ ولكنَّ القيامةَ فيها مواقفٌ وأحداثٌ، ففي بعضِ هذه المواقفِ يُسألون، وفي بعضها لا يُسألون، والمجرمون حينما يُسألون فإنما هو سؤالٌ توبيخٍ وتقريعٍ، وليس على سبيل الاستعلام والاستخبار^(١)؟

٨١- هل في القرآن إشكالٌ لغويٌّ؟

قولُ الله تعالى لإبليسَ اللعين حين أمره الله بالسجودِ لآدمَ فلم يسجدْ إباءً واستكباراً: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} [الأعراف: ١٢]، هل هذا هو الصوابُ أم أن الصوابَ أن يقال: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ} بدونِ «لا» النافية، فهل في القرآن خطأً لغويٌّ أم لا؟

الجواب: ليس هناك أدنى إشكالٍ ولا تعارضٍ ولا خطأً في كتابِ الله تعالى، وإنما معنى الآية: ما منعك من السجود؟ فامتناعك عن السجودِ أحوجك ألا تسجدَ إذْ أمرتك.

وهذا الذي اختاره ابنُ جريرِ الطبريُّ ورجَّحه ابنُ كثيرٍ، وقال: إنه حسنٌ قويٌّ.

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٩١-١٩٢).



ومن المعلوم في لغة العرب أَنَّ «لا» هنا صِلَةٌ على عادة العرب، فيلفظون بها من غير إرادة معناها الأصلي؛ بل لمجرد تقوية الكلام وتوكيده، كقوله تعالى: {لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ}؛ أي: أقسم بهذا البلد، وقوله: {لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ}؛ أي: أقسم بيوم القيامة، وكقوله: {مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ إِلَّا تَتَّبِعَنِ}؛ أي: أن تتبعني، وعليه يكون معنى قوله تعالى: {قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ}؛ أي: ما منعك أن تسجد؟

ويدل عليه قوله تعالى في سورة «ص»: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ} [ص: ٧٥].

وذلك كقوله تعالى: {لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ} [الحديد: ٢٩]؛ أي: ليعلم أهل الكتاب، وكقوله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ}؛ أي: فوربك^(١)؟

٨٢- هل الله تعالى يأمر بالفحشاء والفسق؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ} [الأعراف: ٢٨]، وقوله سبحانه: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا}

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٩٢، ٣٨١).



فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَهَا تَدْمِيرًا} [الإسراء: ١٦]، فهل الله يأمر المترفين بالفسق أم ينهي عنه؟

الجواب: ليس هناك أدنى إشكال ولا تعارض بين الآيات، فكلام الله عزّيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فمعنى قوله سبحانه: {أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا}؛ أي: أمرناهم بالطاعة، {فَفَسَقُوا فِيهَا}؛ أي: بالمعصية، فدَمَرَهُمُ اللهُ تعالى لعدم اتباعهم للطاعة، واتباعهم المعصية^(١).

٨٣- هل عصى موسى تحولت لشعبان كبير أم حية صغيرة؟

هل هناك تعارض أو تناقض بين قول الله تعالى عن عصا موسى عليه السلام: {فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ} [الأعراف: ١٠٧]، دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الْعَصَا تَحَوَّلَتْ لثُعْبَانٍ كَبِيرٍ، وبين قوله سبحانه: {فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ} [النمل: ١٠]، والجَانُّ تَطَلَّقَ عَلَى الْحَيَّةِ الصَّغِيرَةِ، فهل تحوَّلت العصا لثُعْبَانٍ كَبِيرٍ أم حَيَّةٍ صَغِيرَةٍ؟

(١) انظر: تفسير ابن كثير للآية الإسراء ١٦، دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٩٣).



الجواب: في الآية الأولى شَبَّهَ العصا بالثعبان في عِظَمِ خَلْقِهَا، وفي الآية الثانية شَبَّهَهَا بالجان في اهْتِزَازِهَا وخِفَّتِهَا وسُرْعَتِهَا، فهي جامعةٌ بين كِبَرِ الحجم وخِفَّةِ الحركة وسرعة الاهتزاز. والله أعلم^(١).

٨٤- هل القلوب تخاف أم تطمئن عند ذكر الله؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} [الأنفال: ٢]؛ أي: خافت، وبين قوله تعالى: {الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: ٢٨]؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض في كلام الله ولا في معانيه؛ فالطمأنينة تكون بانسراح الصدر بمعرفة التوحيد وزيادة الإيمان، والوجل يكون عند خوف الزيف والضلال عن الهدى، كقوله تعالى: {تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}، وقوله تعالى: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}^(٢).

فالمؤمنون كلما ذكروا الله خشعوا وانقادوا، وخافوا من الضلال بعد الهدى، وكلما ذكروا الله تعالى انشرح صدورهم ولانَّت لذكره وطاعته، وازدادوا

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٩٤).

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٩٦).



إيمانًا، فالمؤمنون يرجون رحمة الله ويخافون عذابه، ويدعون خوفًا وطمعًا، فقلوبهم مطمئنٌ وتخضعُ لذكر الله، وتزدادُ إيمانًا، ومن كمالِ إيمانهم أنهم يخافون من الزَّيغ بعد الهدى.

٨٥- هل نحن مأمورون باتباع النبي ﷺ في كل شيء، أم فيما يُحيينا فقط؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأففال: ٢٤]، وبين الأوامر المطلقة في القرآن في طاعته في كلِّ ما جاءنا به واجتناب ما نهانا عنه، كقوله تعالى: {وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}.

الجواب: أنه لا تعارض ولا إشكال؛ لأن كلَّ شيءٍ دعانا إليه الرسول ﷺ فيه ما يُحيينا الحياةَ الكريمةَ السعيدةَ في الدنيا والآخرة، فالرسول ﷺ لا يأمرنا إلا بما فيه صلاحنا وفلاحنا وحياتنا في الدنيا والآخرة، ولا ينهانا إلا عما فيه ضررنا في الدنيا والآخرة.

فمن استجاب لأوامر الرسول ﷺ فهو السعيد الذي يحيا الحياةَ السعيدةَ في الدنيا والآخرة^(١).

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٨٦).



٨٦- هل كفارُ مكة عَذَّبوا في حياة الرسول ﷺ أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: ٣٣]، دلت الآية على أن الله لا يعذبهم ما دام النبي ﷺ بينهم، وإذا استغفروا، وبين قوله تعالى: {وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} [الأنفال: ٣٤]، ودلت الآية على أن الله مُعَذِّبُهُمْ حين صَدُّوا عن المسجد الحرام، وذلك في حياة النبي ﷺ، فهل هذا من التناقض في كلام الله؟

الجواب: أنه يستحيل أن يكون هناك تعارض أو تناقض في كلام رب العالمين.

لما كان النبي ﷺ بينهم في مكة لم ينزل عليهم العذاب بالقتل أو بالأسر؛ فلما خرج من بينهم، وترك مكة، وهاجر إلى المدينة، ولم يستغفروا ولم يتوبوا ولم يُسَلِّمُوا، استحقوا العذاب بالأسر والقتل؛ بسبب صُدُّهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام^(١).

فليس هناك أدنى تعارض، وإنما التعارض في سوء فهم الجاهلين!

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ١٩٧).



٨٧- هل هناك ولاية بين المؤمنين أم لا؟

هل هناك تعارض أو تناقض بين قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا} [الأنفال: ٧٢]، دلت الآية على أنه من لم يهاجر من المؤمنين لا ولاية بينه وبين المؤمنين، وبين قوله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [التوبة: ٧٢]، دلت هذه الآية على ثبوت الولاية بين عموم المؤمنين، فهل هناك تعارض بين الآيتين؟

الجواب: أن الولاية ولايتان:

الأولى: ولاية الميراث، وهي المذكورة في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ}، فكان المهاجرون والأنصار يتوارثون في أول الأمر، أما من لم يهاجر فلا توارث بينه وبين غيره من المهاجرين والأنصار.

وقد نسخ الله هذا الحكم بقوله تعالى: {وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا} [الأحزاب: ٦].

الثانية: ولاية النصر والمؤازرة والتعاون، وهذه الولاية المثبتة بين جميع



المؤمنين، بقوله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [التوبة: ٧٢] ^(١).

٨٨- هل الأشهر الحرم يحرم فيها القتال أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ٥]، وبين قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطْعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٢١٧]، وقوله تعالى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [التوبة: ٣٦]، وقوله: {يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعْبِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ} [المائدة: ٢]؟

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥٥٦)، دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٢٢١).



وأيضاً: حاصر النبي ﷺ الطائف في شهر ذي القعدة الشهر الحرام؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض، وما كان لرسول الله ﷺ أن يخالف ما

ورد في كتاب الله أبداً؛ ولكن يجوز القتال في الأشهر الحرم في حالتين:

الأولى: إذا كان القتال أو الحصار مستمراً قبل دخول الأشهر الحرم، ثم دخل الشهر الحرام والقتال والحصار مستمران، فهنا لم يبدأ بالقتال في الأشهر الحرم، وإنما القتال والحصار كان مبدوءاً قبلها، وطال حتى دخلت الأشهر الحرم.

الثانية: إذا اعتدى الكافرون على المسلمين في الأشهر الحرم، فوجب على المسلمين أن يردوا العدوان عن أنفسهم؛ حتى ولو كان الرد في الأشهر الحرم، قال الله تعالى: {فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [البقرة: ١٩٤].

والنبي ﷺ في حصار الطائف وقتالهم خرج إلى ثقيف في شهر شوال، فلما كسره واستفأ أموالهم ورجع فلهم لجؤوا إلى الطائف، فحاصرها أربعين يوماً منها شهر ذي القعدة، فالبداء كان في شهر شوال، وهو ليس من الأشهر الحرم، واستمر الحصار في ذي القعدة، وهو من الأشهر الحرم^(١).

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٢٠٣).



٨٩- هل أهل الكتاب من اليهود والنصارى كفارٌ أم مشركون؟

قال الله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾} [التوبة: ٣٠-٣١]، فأثبتت الآية أنهم يُشركون، وقال تعالى: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾} [البينة: ١]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾} [البينة: ٦]، والعطف يقتضي المغايرة، فأهل الكتاب كفارٌ، وعباد الأوثان مشركون، فكيف وصفهم في آية التوبة بالشرك؟ وما شرُّهم؟

الجواب: أن أهل الكتاب جمعوا بين الوصفين، فهم كفارٌ من جهة، ومشركون من جهة أخرى، فكفَرُهم ظاهرٌ بجحودهم لنبوة محمد ﷺ وللقرآن الكريم، وكفَرُ اليهود بنبوة عيسى بن مريم، وادّعاء النصارى واليهود الولدَ لله سبحانه وتعالى، وغير ذلك من مظاهر كفرهم.

وأما شرُّهم فهو أيضًا ظاهرٌ، سواءً من جهة طاعتهم للأحبار والرهبان في غير ما شرع الله، أو في طاعتهم للشيطان فيما يخالفُ شريعة الله، قال الله تعالى



عن اليهود والنصارى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾} [التوبة: ٣١].

وقد بين النبي ﷺ عبوديتهم للأحبار والرهبان، وبين معنى الشرك في ذلك لما سأله عدي بن حاتم - وكان نصرانيًا - قبل أن يسلم، فقال له: ما عبدناهم. فقال النبي ﷺ: «أَلَمْ يَكُونُوا يُحِلُّونَ لَكُمْ الْحَرَامَ فَتَحِلُّوهُ، وَيَحَرِّمُونَ عَلَيْكُمْ الْحَلَالَ فَتَحَرِّمُوهُ». قال: بلى. قال ﷺ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُكُمْ إِيَّاهُمْ»^(١). وهذا شرك بلا نزاع.

وقال الله تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰ عَادَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾} [يس: ٦٠]، وقال إبراهيم لأبيه: {يَتَأْتِيَ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾} [مرم: ٤٤]، وقال: {إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّרِيدًا ﴿١١٧﴾} [النساء: ١١٧].

فطاعة الشيطان في إباحة ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله: عبادة له، وهذا شرك بالله بلا نزاع^(٢).

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٢٠٥).



٩٠- هل جميع المسلمين مأمورون بالجهاد أم صنف معين؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾} [التوبة: ٤١]؛ أي: اخرجوا شبابًا وشيوخًا في العسر واليسر، وجاهدوا، وبين قوله تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾} [التوبة: ١٢٢]، وقوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾} [التوبة: ٩١]؛ فهل الجهاد واجب على الجميع أم لا؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض في كلام الله تعالى؛ فقوله تعالى: {أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا}؛ هذا في حق القادرين على الجهاد، أما الضعفاء والمرضى وغير المستطيعين للجهاد فهؤلاء غير مخاطبين بذلك، وكذلك ذوو الأعدار والأطفال والمكلفون بمهام أخرى. والله أعلم.

٩١- هل الداعي موسى وحده أم معه غيره؟

قال الله تعالى: {وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى



قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ [يونس: ٨٨]، قال الله تعالى بعدها:
 {قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾}
 [يونس: ٨٩]، فهل الداعي موسى وحده أم معه غيره؟

الجواب: أن موسى عليه السلام كان يدعو، وهارون يؤمِّنُ على دعائه،
 والداعي داعٍ، والمؤمِّنُ داعٍ كذلك، فحينما يدعو رجلٌ ويؤمِّنُ آخرون فالجميعُ
 داعون ربِّهم؛ لذلك قال الله تعالى جواباً على دعاء موسى وهارون: {قَالَ قَدْ
 أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا}، ثم أمرهما الله بقوله: {فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾} ^(١).

٩٢- هل الكافر يُعطى أجره كله في الدنيا أم لا، فإننا نرى منهم الشقيَّ
 والسعيد في الدنيا؟

قول الله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ
 فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ
 وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾} [هود: ١٥-١٦].

الجواب: وفاءُ أعمالهم وجزاؤهم كاملاً في هذه الدنيا، يكون إما بالغنى
 والمال أو الصحة والعافية، أو طول العمر، أو كثرة الأولاد ونحو ذلك، أو نوال

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٩١)، دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٢٠٨).



ما يتمنونه كالمُرائين الذين يريدون بأعمالهم أن يقال عنهم: علماء، أو شجعان، أو كرماء، ونحو ذلك، فيعطون ما يرجون من وراء عملهم للدنيا، وهذا كقولهِ تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾} [الإسراء: ١٨].

٩٣- هل ابنُ نوحٍ الأكبر من أهله أم لا؟

قال الله تعالى عن نوح: {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ ﴿٤٥﴾} [هود: ٤٥]، قال الله تعالى له: {قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾} [هود: ٤٦]، فهل ابنُ نوحٍ هذا من أهله أم أنه ليس من أهله؟

الجواب: أن ابنَ نوحٍ هذا من صُلبِ نوحٍ ومن ولده وأهله في النسب؛ ولكنه ليس من أهله الناجين من العذاب، فيكون المعنى: إنه ليس من أهلك الناجين؛ بل هو من جملة الهالكين المُغرقين لكفره بالله العظيم.

وقوله: {إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ}؛ أي: أن عمله باطلٌ غير صالح للقبول؛ لأنه كان مشركًا وكافرًا بالله ورسوله وكتابه، وفي القراءة الأخرى: {إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ}.



٩٤- هل إبراهيم ردّ السلام على الملائكة أم لم يردّ بسبب خوفه منهم؟

قال تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ} [هود:٦٩]، فهنا ردّ إبراهيم السلام، وفي سورة الحجر: {إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ} [الحجر:٥٢]، وهنا لم يردّ السلام في ظاهر الآية؟

والجواب: أنه جمع بين الأمرين، بين ردّ السلام وبين الخوف منهم؛ لأنهم أغرابٌ، ولم يعرفهم، ولم يأكلوا، ولم يتكلموا، وهذا من الخوف الفطريّ، ولذلك قال تعالى في سورة الذاريات: {إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} [الذاريات:٢٥]، وقال تعالى: {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَعْلَمٍ عَلِيمٍ} [الذاريات:٢٨]، وليس هناك أدنى تعارضٍ ولا إشكال.

٩٥- هل الأنبياء من البدو أم من القرى؟

هل هناك تعارض بين قول الله حكايةً عن قول يوسف لأبيه وأمه وإخوته: {وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ}، وبين قول الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى} [يوسف:١٠٩]، فهل نبيّ الله يعقوب بدوي أم حضري؟

الجواب: أنه ليس هناك أدنى تعارضٍ في كلام الله تعالى، فنبيّ الله يعقوب حضريّ الأصل، ثم انتقل إلى البادية؛ علاوةً على أن البدو الذي جاؤوا منه كان



بيئة فيها علمُ النبوة والرسالة، فكان قمة الحضرة والمدنية، فهو بدوٌ مستندٌ إلى الحضرة والعلم النافع والعمل الصالح^(١).

٩٦- هل لكل أمة هادٍ ونذير أم لا؟

هل هناك تعارض بين قوله تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ} [يونس: ٤٧]، {إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} [الرعد: ٧]، وقوله: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر: ٢٤]، فدللت الآيات على أن كل أمة أرسل الله فيها نذيرًا هاديًا، وبين قوله تعالى: {لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ} [يس: ٦]، وقوله: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة: ١٩]، فدللت هذه الآيات على أن هناك أمة لم يكن فيها نذير ولا هادٍ، فهل في ذلك تناقض؟

الجواب: أن التناقض مُحالٌ في كتاب الله تعالى، فمعنى قوله تعالى: {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} [٧]؛ أي: نبي يرشدُهم ويبيِّن طريق الهدى والرشاد، وكذلك قوله سبحانه: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ}، وقوله: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [٢٤].

وأما قوله تعالى: {عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ}؛ أي: فترة ما بين الرسلين.

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٢٢١).



وكذا قوله: {لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ ءَابَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾}؛ أي: الذين جاؤوا في فترة اندثار العلم قبل مبعث الرسول الآخر. والله أعلم.

٩٧- هل أهل الكتاب مؤمنون أم كفار؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ءُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ءِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ءِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٦١﴾} [البقرة: ١٢١]، وقوله: {وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ءِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَقَابِ ﴿٣٦﴾} [الرعد: ٣٦]، وبين قوله تعالى: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾} [البينة: ١]، وقوله تعالى: {وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾} [البقرة: ١٢٠]، فهل هناك تعارض بين كونهم مؤمنين أم كفارًا؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض؛ لأن هذا من العامّ المخصوص، فقوله تعالى: {وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ}، وقوله: {يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ}؛ هذا في حقّ مَنْ آمَنَ منهم واتبَعَ الرسولَ محمدًا ﷺ، كعبد الله بن سلام وأمثاله.



وأما النصُّ على كفرِ أهل الكتاب وعداوتهم للإسلام والمسلمين وبغضهم للمؤمنين فهذا في حقِّ مَنْ لم يؤمن منهم، فبعضهم آمن، وبعضهم كفر، كما قال الله عنهم: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [آل عمران: ١٩٩] ^(١).

٩٨- هل الكافر يموت في النار أم لا؟

قول الله تعالى: {وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ} [إبراهيم: ١٧]، فهل الكافر يموت في النار أم لا يموت؟ وهل هذا من التناقض في كتاب الله؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ أو تناقضٍ في كتاب الله تعالى، ومعنى {وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ}؛ أي: تأتية الأسباب المقتضية للموت عادةً إلا أن الله تعالى يُمسِكُ رُوحَه في بدنه ولا يميته؛ بل يعذِّبه بذلك، فليس في الجنة موت ولا في النار موت، كما ورد في الحديث: «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ بِلَا مَوْتٍ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ بِلَا مَوْتٍ» ^(٢).

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٢٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).



٩٩- هل أرض القيامة هي نفس أرض الدنيا أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى عن يوم القيامة: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾} [إبراهيم: ٤٨]، وبين قوله سبحانه وتعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾} [الكهف: ٧، ٨]؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض، فمعنى قوله سبحانه: {وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾}؛ أي: وإنا لجاعلون ما كان على وجه الأرض زينة لها من أشجار وجبال ومساكن ومخلوقات، نجعلها عند انقضاء الدنيا ترابًا لا نبات فيه، وذلك عند نهاية هذا العالم الدنيوي.

وهذا إخبار عن زوال الدنيا، كما قال الله تعالى: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾} [التكوير: ١، ٢، ٣]، وقال سبحانه: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾} [الانفطار: ١-٤].

وأما قوله: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ}؛ فهذا خاص بأرض القيامة، وهي أرض بيضاء نقيّة، كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ، وهي غير أرض الدنيا. والله أعلم.



١٠٠- هل الكافر والضالُّ يحملُ وزرَ نفسه فقط يومَ القيامة، أم يحملُ وزرَ

غيره معه ؟

هل هناك تعارضٌ بين قولِ الله تعالى: {أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ۖ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۚ} [النجم: ٣٩]، وبين قوله تعالى: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ} [النحل: ٢٥].

فهل يحملُ الإنسانُ وزرَ نفسه فقط، أم يحملُ أوزارَ الآخرين معه؟ وهل هذا من التعارضِ أو التناقضِ في كتابِ الله؟

الجواب: ليس في كلامِ الله أدنى تعارضٍ؛ لأن هؤلاء الضالِّين المُضِلِّين ما حملوا إلا أوزارَ أنفسهم، من ضلالِهم لأنفسِهم وإضلالِهم لغيرهم.

فَمَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وَزَرُهَا وَوَزَرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ؛ لَأَنَّهُ سَبَبٌ فِي إِضْلَالِهِمْ، فَهُوَ الدَّاعِي إِلَى الْفَسَادِ وَالضَّلَالِ، فَالدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ، وَالدَّالُّ عَلَى الشَّرِّ لَهُ مِثْلُ وَزْرِ فَاعِلِهِ، وَاللَّهُ حَكَمٌ عَدْلٌ، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ.



١٠١- هل الخمر حلال أم حرام؟ وهل هي من النعم؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾} [النحل: ٦٧]، وبين قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾} [المائدة: ٩٠]؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض؛ فقد كانت الخمر غير محرمة تحريماً قطعياً في أول الإسلام، ثم حرمها الله في آية المائدة رقم (٩٠) تحريماً قطعياً؛ فقد نسخت آية المائدة ما قبلها من الآيات الواردة في الخمر في سورة البقرة (٢١٩) وسورة النساء (٤٣) وسورة النحل (٦٧). والله أعلم^(١).

١٠٢- هل لإبليس سلطان على أوليائه أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى عن إبليس: {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿٣٠﴾} [النحل: ١٠٠]، وبين قوله سبحانه حكاية عن إبليس: {وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُم فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾} [إبراهيم: ٢٢]، وقوله:

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٢٣٤-٢٣٥).



{وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾} [سبا: ٢١]؟

الجواب: ليس في كلام الله أدنى تعارضٍ، إنما التعارضُ في أفهامِ الجاهلين؛ لأنَّ السلطانَ المذكورَ في الآياتِ على وجهين:

الأول: هو السلطانُ الذي أثبتَه اللهُ له عليهم، فهو سلطانُ التزيينِ والإضلالِ، تزيينِ الباطلِ، قال تعالى: {وَرَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾} [النمل: ٢٤]، وقال تعالى: {يَعِدُّهُمْ وَيُمَيِّتُهُمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٣٠﴾} [النساء: ١٢٠].

الثاني: السلطانُ الذي نفاه اللهُ له عليهم هو سلطانُ الحجةِ والبرهانِ، فلم يكنْ لإبليسَ حجةً ولا برهاناً على إضلالِهِ لهم سوى أنه غرَّرَ لهم وكذَّبَ عليهم ودعاهم فأجابوه، ولهذا قال لهم: {وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُم فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾} [إبراهيم: ٢٢].

علاوةً على أنهم هم الذين جعلوا له عليهم سلطاناً بفسادِ قلوبهم ونيَّاتهم، فالشيطانُ كيدهُ ضعيفٌ، قال تعالى: {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٦٦﴾}



[النساء: ٧٦]، وإنما هم الذين سلطوه على أنفسهم بدخولهم في طاعته.

١٠٣ - هل الله مع المحسنين فقط أم مع الناس كافة؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٨]، دلت الآية على أن معية الله خاصة بالمؤمنين، وبين قوله تعالى: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة: ٧]، وقوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: ٤]، فهل معية الله عامة لخلقه أجمعين، أم أنها خاصة بالمؤمنين؟ وهل في ذلك تعارض؟

الجواب: ليس هناك تعارض في كلام الله؛ لأن معية الله معيتان: خاصة وعامة، فالمعية الخاصة هي معية النصر والتأييد والتوفيق والتسديد والثبات على الهداية، وهي معية الله لعباده المؤمنين المحسنين، كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٨]، وقوله لموسى وهارون: {لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه: ٤٦]، وقول النبي محمد ﷺ لصاحبه في الغار: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}.

والمعية العامة: هي معية العلم والسمع والبصر، وذلك لقوله تعالى: {وَهُوَ



مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ [الحديد:٤]، فقد ختمها بصفة العلم والبصر.

ولقوله سبحانه: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ [المجادلة:٧]}. ختمها الله تعالى بصفة العلم، وهي المعية العامة لجميع الخلق، فلا تعارض^(١).

١٠٤ - هل أهل الفترة يُعَذَّبُونَ في القيامة أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ [الإسراء:١٥]}، دلت الآية على أن من لم تبلغه الدعوة لا يُعَذَّب، وأن الله تعالى لا يعذب أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه، وهناك آيات أخرى كثيرة دلت على هذا المعنى، وبين قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ [البقرة:١٦١]}، ونظيرها من الآيات.

وقول النبي ﷺ للسائل عن أبيه: «أبي وأبوك في النار»^(٢)، وقوله ﷺ: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي، فلم يأذن لي، فاستأذنته في أن أزور قبرها فأذن»

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٦١٥)، دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٢٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٣).



لي^(١).

ودل ذلك على أن هؤلاء كانوا في فترةٍ وقبل مبعثِ الرسول ﷺ وأنهم مُعذَّبون، فهل هناك تعارضٌ في ذلك؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ، فالله جلَّ وعلا من عظيم عدله وفضله أنه لا يعذبُ أحدًا ولا يحكمُ على أحدٍ بالضلال إلا بعد إقامة الحجة عليه، كما قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾} [التوبة: ١١٥].

والآيات والأحاديث الواردة في دخولٍ من ذكروا النار هي في حق من بلغته الدعوة، فقد كان أهل مكة على آثارٍ من دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، والكعبة قائمة بينهم يحج إليها العرب في كل عام، ويطوفون حولها الموحدون وغير الموحدين، وقد كان هناك موحدون كورقة بن نوفل وزيد بن نفل، وأبي بكر الصديق والنبي محمد ﷺ قبل بعثته وأمثالهم.

ولما أراد أبرهة غزو الكعبة وهدمها قال له عبد المطلب: للبيت رب يحميه، والعرب المشركون كانوا إذا تعرّضوا للمحنة وركبوا البحر وتعرّضوا للغرق دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجّاهم إلى البر إذا هم يشركون.

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦).



{وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾} [العنكبوت: ٦١]؛ فقد قامت عليهم الحُجَّةُ، ومع ذلك أَشْرَكُوا بالله، فلم يكن لهم عذرٌ، فكانوا من أَصحاب النارِ، أَمَا مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ، وَلَمْ يَسْمَعْ عَنِ نَبِيِّ وَلَا رَسُولٍ وَلَا دِينٍ وَلَا شَرَائِعَ، فهذا لَا يُحَكِّمُ عَلَيْهِ بِعَذَابٍ وَلَا ضَلَالٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُخْتَبَرُ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، كَمَا صَحَّ بِهِ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «أَرْبَعَةٌ يُدْلَوْنَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحُجَّةٍ» ومنهم: «رَجُلٌ فِي فِتْرَةٍ»^(١).

فأهل الفترة الذين لَمْ تَبْلُغْهُمْ دَعْوَةُ يُخْتَبَرُونَ فِي الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: «ادْخُلُوا النَّارَ»، فَمَنْ أَطَاعَ أَمْرَ اللَّهِ وَدَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

وبذلك يَتَّضِحُ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ أَدْنَى تَعَارُضٍ فِي كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ^(٢).

١٠٥ - هل الكفار في القيامة يسمعون ويُبصرون ويتكلمون أم لا؟

هل هناك تعارض بين قولِ اللَّهِ تعالى: {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًى وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّا وُئِهْمُ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾} [الإسراء: ٩٧]، وبين قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا

(١) أخرجه أحمد (١٦٣٠١)، والطبراني في الكبير (٨٤١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٥٢)، دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٢٣٧-٢٤٥).



أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ [السجدة: ١٢]، فهل الكفار في القيامة عُمِّيٌّ وَبُكْمٌ وَصُمٌّ، أم أنهم يسمعون وَيُبْصِرُونَ ويتكلمون، وهل هذا من التعارض في كتاب الله تعالى؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض في كتاب الله تعالى، فهم يُحْشَرُونَ في أول الأمر عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا، إهانة لهم على كفرهم، ثم يَرُدُّ اللهُ إليهم أبصارهم وسمْعهم ونطقهم؛ لِيَرَوْا العذاب بكلِّ جوارحهم، زيادةً في تعذيبهم، وكذلك هم عُمِّيٌّ عن الخير وعما يُسْرُّهم، فلا يَرُونَ إلا ما يسوؤهم، وَصُمٌّ عن الخير، فلا يسمعون إلا ما يسوؤهم، وَبُكْمٌ عما يَنْفَعُهُمْ وَيُسْرُّهم، فلا يتكلمون إلا بما فيه حَسْرَتهم وندمهم.

١٠٦ - هل المُكْرَهُ على الكفر مؤاخَذٌ أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى عن أصحاب الكهف: {إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا ﴿٢٠﴾} [الكهف: ٢٠]؛ أي: لو أكرهوكم على الكفر فلنْ تُفْلِحُوا، فدلَّت الآية على أن المُكْرَهُ على النطق بالكفر غيرُ مَعْفُوٍّ عنه، وبين قوله تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾} [النحل: ١٠٦]، دلت الآية على أن المكروه على النطق بكلمة الكفر مَعْفُوٌّ عنه، ولا إثم عليه، فهل هذا



تعارض في كتاب الله؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض؛ لأن قول أصحاب الكهف: {أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿١٠﴾}: هذا كان في شرائعهم أنهم يؤخذون بالإكراه على الكفر، وأما في مِلَّتِنَا فقد عفا الله عن هذه المؤاخذه، وهذا ما قاله النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَا وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرِهُوا عَلَيْهِ»^(١).

وهذا من الإصر والأغلال التي كانت على مَنْ قبلنا، ورفعها الله عن أمة محمد ﷺ^(٢).

١٠٧- هل كان الملك يأخذ كل سفينة غصبًا؟ أم كان يأخذ السفينة الصالحة فقط؟

هل هناك تناقض في قول الله تعالى عن الخضر لَمَّا خَرَقَ السفينة: {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾} [الكهف: ٧٩]، فظاهر الكلام أن الملك يأخذ كل سفينة على العموم صالحة أم معيبة ظلمًا وعدوانًا؟ فما فائدة أن يعيبها؟

الجواب: أن في الكلام حذف صفة، وتقديره: يأخذ كل سفينة صحيحة

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٣)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤٦٤٩).

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٢١٨).



صالحه غصبًا وظلمًا، أمّا المعية فلا يأخذها، وحذف النعت إذا دلّ المقام عليه جائز، كما أشار إليه ابن مالك في الفيتة:

وَمَا مِنْ الْمَنْعُوتِ وَالنَّعْتِ عَقْلٌ * يَجُوزُ حَذْفُهُ وَفِي النَّعْتِ يَقْلُ

ومثاله في القرآن كثير، ومن ذلك: قوله تعالى: {وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا} [الفرقان: ٧١]؛ أي: عمل عملاً صالحاً، وقوله سبحانه: {أَنْ أَعْمَلَ سَبِيغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ} [سبا: ١١]؛ أي: اعمل دُرُوعًا سابِغَاتٍ^(١).

١٠٨ - هل المؤمنون سيدخلون النار أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى عن النار: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا} [مريم: ٧١]، دلت الآية على أن جميع الناس يردون النار، وبين قوله تعالى عن أهل الإيمان: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} [الأنبياء: ١٠٢] لا يسمعون حسيستها وهم في ما أشتتت أنفسهم خالِدُونَ} [الأنبياء: ١٠٢].

الجواب: أنه ليس هناك تعارض في كلام الله تعالى؛ لأن الورد له معنيان:

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٢٥١)، شرح الفية ابن مالك لابن عثيمين (٥/



الأول: المروء من أمامها أو بجوارها ونحو ذلك، وليس الدخول، كقول الله تعالى عن موسى ﷺ: **{وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ}**؛ أي: مرَّ بجوار ماءٍ مَدْيَنَ، ومن هذا الورود المروء على الصراط، قال تعالى: **{وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا}** أن جميع المكلفين يَمُرُّون على الصراط، وهو جسرٌ منصوبٌ على مَتْنِ جَهَنَّمَ، قال تعالى: **{ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا}** ﴿٧٢﴾ [مرم: ٧٢]، أهل التقوى والإيمان يَمُرُّون وَيَنجُونَ إلى الجنة، وأما الظالمون فإنهم يدخلون النار ويسقطون فيها.

الثاني: هو الدخول، فَمَنْ كان من أهل الشقاوة من الكفرة والمشركين والعصاة الذين حُكِمَ عليهم بدخول النار فإنهم داخلوها وواردوها، كما قال الله تعالى عن فرعون وقومه: **{يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ}** ﴿٩٨﴾ [هود: ٩٨]؛ أي: أدخلهم النار باتِّباعهم له على الكفر والضلال، وأما أهل السعادة الذين مَنَّ الله عليهم بالجنة ابتداءً، فهم لا يسمعون حسيسها؛ أي: لا يدخلون ولا يُحسُّون شيئاً من عذابها ولا حرَّها، وهم فيما اشتَهَتْ أنفسهم خالدون في جنات النعيم^(١). والله أعلم.

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٢٥٣-٢٥٤).



١٠٩ - هل الله أخفى الساعة بالفعل أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لَشَجَزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾} [طه: ١٥]، والفعل (كاد): فعلٌ من أفعالِ المقاربة؛ أي: قاربتُ أن أخفيها، وبين قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ}، وقوله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٧﴾} [الأعراف: ١٨٧]، فهل الله أخفاها حقيقة أم لا؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ ولا تناقضٍ، ومعنى قوله تعالى: {أَكَادُ أُخْفِيهَا}؛ أي: أبلغُ في إخفائها، ولا أظهرُكم عليها، وهذا أسلوبٌ معروفٌ في لغة العرب، كمن يقول: أكتُم هذا السرَّ وأخفيه حتى من نفسي، وهذا على سبيلِ المبالغة في كتمان السر.

ونظيره قول النبي ﷺ: في السبعة الذين يُظْلِمُهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا؛ حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ^(١)؛ أي: مبالغة في الإخفاء عن الناس والإخلاص لله رب العالمين.

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).



علاوةً على أن «كاد» من الله في هذا الموضع بمعنى الوجوب والحث؛ أي: حتمًا أخفيها، فلا يطَّلع عليها نبيُّ مُرسل ولا ملكٌ مقرب، وذلك كقوله تعالى: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [التحریم: ٨]؛ أي: حتمًا إن تبتم توبةً نصوحًا سيكفر الله عنكم سيئاتكم، ويدخلكم الجنة.

١١٠- هل كان موسى وهارون رسولين؟ أم كان أحدهما فقط هو الرسول؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ} [طه: ٤]، والتي دلت على أن موسى وهارون رسولان مبعوثان إلى فرعون وقومه، وبين قوله تعالى: {فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ١٦]، فهل موسى فقط هو الرسول أم كلاهما؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض ولا تناقض، فموسى وهارون كل منهما رسول من الله، ومعنى قول الله تعالى: {إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ١٦]؛ أي أن كل واحد منا رسول رب العالمين، فإطلاق الرسول مفردًا يُراد به المصدر، وهذا معروف في لغة العرب بلا نزاع.

كما أن فرعون كان يخاطب موسى وهارون وعند النداء يخص موسى بالذكر؛ لأنه الأصل في الرسالة، قال تعالى عن فرعون: {قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا



يَمُوسَى ﴿٤٩﴾ {طه:٤٩}، كما قال الله في خطابه لآدم وحواء: {فَقُلْنَا يَآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾} {طه:١١٧} ^(١).

١١١ - هل أكل آدم من الشجرة نسياناً أم عمداً؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنَى وَلَمْ يُحْدِ لَهُوَ عَزَمًا ﴿١١٥﴾} {طه:١١٥}، دلت الآية على أن آدم أكل من الشجرة نسياناً، وبين قوله تعالى: {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢٢﴾} ثم أَجْتَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٣﴾} {طه:١٢٢، ١٢٣}، دلت على أنه عصى متعمداً، وتاب من ذنبه وعفا الله عنه، فهل أكل من الشجرة عامداً أم ناسياً؟

الجواب: أنه ليس هناك تعارض ولا تناقض في كلام الله جلّ جلاله؛ لأن النسيان قد يأتي بمعنى الترك، ويأتي بمعنى السهو والغفلة عن الشيء.

والنسيان هنا بمعنى الترك، «فنسي»؛ أي: فترك أمر الله، وأكل من الشجرة، والسبب إغواء إبليس وكثرة وسوسته ووعدده.

وذلك كقول الله تعالى: {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ}؛ أي: تركوا أمر الله وشرعه، فتركهم الله من رحمته، وقوله: {فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٢٦٥).



كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ [الأعراف: ٥١]؛ أي: نتركهم من رحمتنا كما تركوا العملَ
ليوم القيامة، والله قال عن نفسه: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾} [سرم: ٦٤]؛ أي: لا يغفلُ
ولا يسهو، فالله سبحانه وتعالى منزّه عن كل صفاتِ النقص^(١).

١١٢ - هل جميعُ المعبوداتِ الباطلةِ حطبُ جهنم أم بعضها؟

هل هناك تعارضٌ بين قولِ الله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾} [الأنبياء: ٩٨]، والتي دلت على أن جميعَ
المعبوداتِ من دونِ الله حطبُ جهنم، وبين قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ
مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١١﴾} [الأنبياء: ١٠١]، والتي دلت على أن
الصالحين من خلقِ الله الذين عبدَهم المشركون دون حُجَّةٍ ولا برهانٍ داخلون
الجنة وليسوا حطبَ جهنم، فهل في ذلك تعارضٌ أو تناقضٌ؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ ولا تناقضٍ؛ لأن الآية التي نصّت على
دخولِ هذه المعبوداتِ الباطلةِ في جهنم وكونها حطبُ جهنم الذي يُحرقُ به
الكفار، والمرادُ المعبوداتُ غيرُ العاقلة؛ بدليل قوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ} فعبرَ بـ «ما» التي تدل على غيرِ العاقلِ.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٥٠)، دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٢٦٧).



١١٣ - هل الوحي محصورٌ في توحيد الألوهية فقط أم بغيره من الشرائع؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٨﴾} [الأنبياء: ١٨]، و«إنما» أداة حصرٍ وقصرٍ عند الجمهور، والتي دلّت على أن الوحي محصورٌ في توحيد الألوهية، وبين بقية الوحي من الأحكام والتشريعات والمواعظ والعبر والقصص والرقائق ونحو ذلك، كقوله تعالى: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ أُسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾} [الجن: ١]، وقوله: {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٦﴾} [هود: ٩٦].

الجواب: أنه ليس هناك أدنى تعارضٍ ولا تناقضٍ، وإنما حصرُ الوحي في توحيد الألوهية حصرٌ له في أصله الأعظم الذي ترجع إليه الفروع؛ لأن جميع الشرائع داخلَةٌ ضمنَ توحيد الألوهية: «لا إله إلا الله».

فكلُّها شرعت لإفراد الله تعالى بالعبودية وإقامة توحيد الله تعالى، فالغرض من جميع الشرائع والعبادات تحقيق توحيد الألوهية لله رب العالمين^(١).

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٢٦٩).



١١٤ - هل جهاد الكفار مأذون فيه فقط أم هو واجب؟

قال الله تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَتْهَمَ ظُلُمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} [الحج: ٣٩]، دلت الآية على أنه مأذون فيه فقط، وليس بواجب، وقال الله تعالى: {وَقَتِّلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَتِّلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [التوبة: ٣٦]، وقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ} [التوبة: ٧٣]، فهل الجهاد مأذون فيه جوازاً أم وجوباً؟

الجواب: أنه أذن فيه في أول الأمر جوازاً من غير إيجاب، ثم بعد ذلك أوجبه الله تعالى^(١).

١١٥ - هل الأبصار تعمي عن الحق أم لا تعمي؟

قال تعالى: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: ٤٦]، وقال تعالى: {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ} [محمد: ٢٣]، فهل الأبصار تعمي عن الحق أم لا؟

الجواب: أن التمييز بين الحق والباطل والخير والشر والنافع والضار يكون

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٢٧٠).



بالبصائر لا بالأبصار، فمعنى قوله تعالى: {فَأَصْمَهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ}؛ أي: أصمَّهُم وأعمى بصائرهم وقلوبهم عن الحق بشؤم كبرهم وضلالهم.

وعمى القلب هو عمى البصيرة؛ لأن العقل في القلب؛ لقوله تعالى: {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا}، ولقوله: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانُ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} ﴿٤٤﴾ [محمد: ٢٤] ^(١).

١١٦ - هل للشيطان سلطانٌ على الأنبياء أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} ﴿٥٢﴾ [الحج: ٥٢]، وبين قوله تعالى: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} ﴿٤٢﴾ [الحجر: ٤٢]، وقوله: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} ﴿٩٩﴾ [النحل: ٩٩].

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ في كلام الله تعالى؛ ولكن لفهم معنى هذه الآيات لا بدَّ أولاً من فهم معنى التمني في قوله سبحانه: {إِلَّا إِذَا تَمَنَّى}، وفهم معنى السلطان في قوله: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ} في حق إبليس، فالتمني له

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٢٧٠).



معنيان:

الأول: هو التلاوة والقراءة، فيكون المعنى: وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا قرأ وتلا وحدث ألقى الشيطان في أمنيته؛ أي: ألقى من الشبه والوساوس فيما يتلوه النبي ليصد الناس عن سبيل الله، ليس في أصل الوحي المتلو من النبي، وليس في أصل حديث النبي، إنما يوسوس ويلقي الشبه في أذهان الناس؛ ليشتكهم في هذا الوحي، ويصدّهم عنه؛ لأن الله قال في حق النبي ﷺ: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} [النجم: ٤، ٥]، وقال الله تعالى: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة: ٦٧]، فالشيطان لا يستطيع أن يدخل كلامًا غريبًا من عند نفسه في كلام النبي وتلاوته للوحي.

والمعنى الثاني للتمني: أن كل نبي يتمنى ويحب ويرجو إيمان أمته، والشيطان يريد أن يضلّهم عن سبيل الله بإلقاء الوسوس والشبه.

فإلقاء الشيطان سواء في التلاوة أو الأمانة هو إلقاء الوسوس والشكوك في صدور الناس؛ ليصدّهم عن سبيل الله.

أما السلطان في حق الشيطان فله أيضًا معنيان:

الأول: السلطان بمعنى الحجة والبرهان الواضح على صحة دعواه، وهذا هو السلطان المنفي عن عباد الله المؤمنين، وذلك هو الوارد في قول الشيطان



عن نفسه: {وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي} [إبراهيم: ٢٢].

الثاني: السلطان بمعنى التسلط بالوسواس وإلقاء الشبه، كما فعل مع آدم: {فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} ٢٠ {وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ} ٢١ [الأعراف: ٢٠، ٢١].

فهذا سلطان الوسوسة والكذب والغش والتدليس والتغريب، وهذا السلطان مُحَالٌ في حق الأنبياء والرسل باستثناء ما جرى لآدم وحواء عليهما السلام، فهذا كان قبل نبوة آدم من جهة، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا من جهة أخرى.

وحتى لو تسلط على عباد الله المؤمنين، فإنه يجرهم إلى بعض الذنوب والمعاصي، فإنه لا تسلط له عليهم بإيقاعهم في ذنب يهلكون به، ولا يتوبون منه؛ بل ربما زين لهم من المعاصي، فباب التوبة مفتوح بالليل والنهار، والله يغفر الذنوب جميعًا.

فكل نبي يتلو الوحي على أمته، ويتمنى إيمانهم، والشیطان يلقي عليهم الوسواس والشبه؛ ليصددهم عن سبيل الله، فيبطل الله كيد الشيطان، ويزيل الشبه والوسواس، ويثبت الله آياته وحجته على خلقه، والله عليم بكيد الشيطان، حكيم في تقديره وأمره سبحانه وتعالى.



وأما ما أورده بعض المفسرين في تفسير سورة النجم من قصة الغرائق، وأن النبي ﷺ حينما قرأ: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوَةُ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝٢٠} [النجم: ٢٠]؛ ألقى الشيطان في قراءته على لسانه، وقال: «تلك الغرائق العلا، وإن شفاعتهم لترتجى»: فهذا خبر كذب باطل من وضع الزنادقة، اليهود والنصارى والمجوس بلا شك فيه عندنا.

وقد كتب الشيخ الألباني رحمه الله رسالة عظيمة بعنوان: «نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق»، بين فيها كل هذه المرويات الباطلة، وأنه لم يصح لها سند يتصل إلى رسول الله ﷺ، وممن قطع بكذبها وأنها مدسوسة من وضع الزنادقة الإمام محمد بن خزيمة، والقاضي عياض، والإمام أبو بكر بن العربي المالكي، والفخر الرازي، وغيرهم.

١١٧ - {رَبِّ ارْجِعُونِ ۝٩٩} [المؤمنون: ٩٩] أهو رب واحد أم أكثر؟

قال الله تعالى عن حال الكفار والمجرمين حال خروج الروح وقبض ملائكة الموت لأرواحهم: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠} [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، هل المحتضر في هذه الحالة يخاطب رباً واحداً أم أكثر عندما قال: {رَبِّ ارْجِعُونِ}؟



الجواب: الربُّ ربُّ واحدٌ سبحانه، قال الله تعالى: {وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ} [المائدة: ٧٣]، وقال: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَكُ وَالْأَنْفُسُ الْعَالَمُ فَإِلَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: ١٨]، والمحتضرُ تَقْبِضُ رُوحَهُ ملائكةُ الموتِ، وهم ملكُ الموتِ ومساعدوه، كما قال تعالى: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الأنفال: ٥٠].

فحينما تَقْبِضُ الملائكةُ أرواحَ الكفارِ وهم يَضْرِبُونَهُمْ على وجوههم وأدبارهم، وَيُبَشِّرُونَهُمْ بالنارِ وعذابِ الحريقِ في القبورِ، يتمنى الكفارُ أن يرجعوا إلى الدنيا؛ ليؤمنوا ويعملوا عملاً صالحاً يُنجِيَهُمْ من العذابِ، فيستغيثون الله ويقولُ أحدهم: ربِّ، وينادي ملائكةُ الموتِ قائلاً: {أَرْجِعُونِ} [٩٩] لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا}، فالربُّ واحدٌ، وملائكةُ الموتِ كَثْرٌ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ^(١).

١١٨ - هل أهل القيامة يتساءلون، وبينهم أنسابٌ أم لا؟

هل هناك تعارضٌ بين قوله سبحانه وتعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون: ١٠١]، وبين قوله تعالى: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} [الصفات: ٢٧] وقوله: {يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ

(١) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٤/١٥٦).



﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ { [عبس: ٣٤-٣٦]، فهل بينهم أنساب؟ وهل يتساءلون أم لا؟ وهل في هذا تعارض في كلام الله؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض بين كلام الله تعالى لا في القرآن ولا في السنة، وإنما المراد بنفي الأنساب في قوله تعالى: {فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ}؛ أي: لا أنساب تنفعهم؛ إذ تنقطع فوائدها وآثارها من العواطف والصلوات، فلا ينفع أحداً في القيامة إلا إيمانه بالله وعمله الصالح، ففي القيامة: {يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾} [عبس: ٣٤-٣٧]، {يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَّوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} [الدخان: ٤١-٤٢].

فقوله: {فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ} كقوله: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ}، ولهذا نادى النبي ﷺ على قرابته وقال لهم: «اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»^(١)؛ أي: فمن جاء بغير عمل صالح فلا ينفعه شيء.

وأما قوله تعالى: {وَلَا يَتَسَاءَلُونَ}، وقوله: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} ﴿٣٧﴾: فهم لا يتساءلون في مواضع بسبب انشغال كل إنسان بنفسه وشأنه من هول الموقف كالصعق والحساب والمرور على الصراط ونحو ذلك،

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧١، ٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).



ويتساءلون في مواطنٍ أخرى، كما قال الله تعالى: {وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾} [الأعراف: ٤٤]، وكقوله تعالى: {وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾} [الأعراف: ٥٠]، وقوله تعالى: {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَهِنَّكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ ﴿٥٢﴾ أَعِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطْلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾} [الصافات: ٥٠-٥٧].

وكقوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ نَكُ نَطْعُمُ الْمُسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾} [المدر: ٣٨-٤٧].

فهم يتساءلون في مواضع، ولا يتساءلون في مواضع، فيحمل كل موضع على موطنه المناسب له، وليس في كلام الله عز وجل تناقض، قال تعالى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾} [النساء: ٨٢].



ولمّا كان القرآن من عند الله، وهو كلام الله فيستحيل أن يكون فيه أدنى اختلافٍ أو تعارضٍ أو تناقضٍ.

١١٩ - هل المكث في القبور يوماً أم بعض يومٍ أم عشرة أيام؟

هل هناك تعارض بين قوله تعالى: {قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعَادِينَ ۝١١٣} [المؤمنون: ١١٣]، وقوله: {يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۝١٠٣} [طه: ١٠٣] وقوله: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ۝٥٥} [الروم: ٥٥]؟

الجواب: هذا ليس من باب التعارض في كلام الله؛ ولكن الله تعالى يُخبرنا عن قول هؤلاء المجرمين بعضهم لبعض، فمنهم من يقول لبثنا يوماً أو بعض يوم، ومنهم من يقول: إن لبثتم إلا عَشْرًا، ومنهم من يقول: ما لبثوا غير ساعة.

وهذا إخبار عما يجري بين المجرمين يوم القيامة في قوله في هذا الشأن، وليس هذا من التناقض في كلام الله، كما حكى الله عن أصحاب الكهف مقالة الناس فيهم: {سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۖ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٢٢} [الكهف: ٢٢]، فالله يُخبرنا عما حدث بينهم من مقالة في هذا الشأن.



١٢٠- هل تزويج العفيف بالزانية، أو العفيفة بالزاني حرام أم حلال؟

هل هناك تعارض بين قوله سبحانه وتعالى: {الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرَكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [النور: ٣]، وبين قوله بعد ذكر المحرمات من النكاح في سورة النساء: {وَأَحَلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكَ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِفِينَ فَمَا أَصْنَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: ٢٤].

الجواب: أن آية سورة النور واضحة وضوحاً تاماً في حرمة زواج الأعفَاء من الزناة إلا إذا تاب الزناة؛ بدليل حديث مرثد بن أبي مرثد رضي الله عنه في سبب نزول هذا الآية، وأنه لما سأل النبي ﷺ أن يتزوج عناقاً التي كان يعشقها في الجاهلية بالزنا منعه، فقد حرّمها الله عليه.

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ: أَنَّ مَرْتَدَ بْنَ أَبِي مَرْتَدٍ الْغَنَوِيَّ كَانَ يَحْمِلُ الْأُسَارَى بِمَكَّةَ، وَكَانَ بِمَكَّةَ بَغْيِي يُقَالُ لَهَا: عَنَاقُ، وَكَانَتْ صَدِيقَتَهُ، قَالَ: جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْكِحْ عَنَاقَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ عَنِّي، فَفَزَلْتُ: {وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ}، فَدَعَانِي فَقَرَأَهَا عَلَيَّ وَقَالَ:



«لَا تَنْكِحَهَا»^(١).

إلا إذا تاب الزاني أو الزانية، وحَسُنَتْ توبته، واشتَهَرَ بِالصَّلاحِ، فيجوزُ نكاحه.

وأما قوله تعالى: {وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ}؛ أي: من غير الزنا المصيرين على الزنا؛ فحرمة الزواج من الزناة المسلمين مخصوص من عموم قوله تعالى: {وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ}، وعليه فليس هناك أدنى تعارض ولا إشكال.

١٢١ - هل الخبيثات للخبيثين والطيبات للطيبين أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله سبحانه تعالى: {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [النور: ٢٦]، وبين قوله سبحانه: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ} ١٠ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٥١)، وقال الألباني: حسن صحيح.



الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ [التحریم: ١٠-١١].

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ ولا تناقضٍ؛ لأن معنى قوله تعالى: {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ}؛ أي: الكلماتُ الخبيثاتُ تخرجُ من الخبثاء، فالذين رَمَوْا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ عليها السلام بِالزَّنا وَقَذَفُوهَا بِالْبُهْتَانِ وبالكلماتِ الخبيثاتِ هم الخَبَثَاءُ أَهْلُ النِّفَاقِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْزَةَ سَلُولٌ وَأَتْبَاعُهُ.

والكلماتُ الطيباتُ تخرجُ من الناسِ الطيبينِ كالنبيِّ عليه السلام وأصحابه عليهم السلام، وهم أَهْلُ الذِّكْرِ وَالشُّكْرِ وَالطَّاعَةِ الَّذِينَ دَافَعُوا عَنْ عَائِشَةَ عليها السلام وَبَرَّوْهَا، وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ: {أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}، وعليه فلا تعارضٌ ولا إشكال.

ولو فرضنا- كما قال بعضُ العلماء- أن المعنى: هو أن الزوجةَ الخبيثةَ تكونُ للزوجِ الخبيثِ، وأن الزوجةَ الطيبةَ تكونُ للزوجِ الطيبِ؛ فهذا على سبيلِ الغالبِ، فالغالبيةُ العظمى أن الزوجينِ شبيهانِ في الصِّلاحِ والفسادِ، هذه هي القاعدةُ العامَّةُ؛ ولكن أحياناً تكونُ الزوجةُ صالحةً والزوجُ فاسداً، كامرأةَ فرعونَ عليها السلام، وأحياناً يكونُ الرجلُ صالحاً والمرأةُ فاسدةً، كنوحٍ ولوطٍ عليهما السلام وزوجتيهما؛ ولكن {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا} [فصلت: ٤٦]، {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الأنعام: ١٦٤].



ولذلك ضرب الله المثل بنوح ولوط وزوجتيهما، وامرأة فرعون وزوجها، كما قال تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} [العنكبوت: ٤٣]؛ فَضَرَبَ الْأَمْثَالَ يَكُونُ لِأَخْذِ الْعِبَرَةِ وَالْعِظَةِ مِنْهَا، فَالْقِرَابَةُ لَا تَنْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ، وَإِنَّمَا الَّذِي يَنْفَعُ هُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ مُحَاسَبٌ عَنْ نَفْسِهِ وَعَمَلِهِ.

فَنُوحٌ وَلُوطٌ ﷺ نَبِيَّانِ رَسُولَانِ كَرِيمَانِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يُغْنِيَانِ عَنْ زَوْجَيْهِمَا الْكَافِرَتَيْنِ شَيْئًا؛ وَامْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ﷺ مُسَلِّمَةٌ صَالِحَةٌ، وَزَوْجُهَا كَافِرٌ، وَلَنْ تَغْنِي عَنْهُ شَيْئًا؛ وَعَلَيْهِ فَلَا تَعَارُضَ، وَلَا تَنَاقُضَ، وَلَا إِشْكَالَ فِي كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَيَسْتَحِيلُ أَنْ تَكُونَ زَوْجَةُ نَبِيٍّ زَانِيَةٍ؛ لِأَنَّ الْقَدْحَ فِي عَرِضِهِ قَدْحٌ فِي نُبُوَّتِهِ وَذَرِّيَّتِهِ وَعِصْمَتِهِ، وَلِذَلِكَ لَمَّا وَقَعَ الْمُنَافِقُونَ فِي زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَكِلِ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَ بَرَاءَتِهَا لِلْبَشَرِ فَحَسَبَ، وَإِنَّمَا تَوَلَّى بَرَاءَتَهَا بِذَاتِهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ فِي قُرْآنٍ يُتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهَا زَوْجَةُ نَبِيٍّ.

وَأَمَّا الْخِيَانَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي حَقِّ امْرَأَةِ نُوحٍ وَامْرَأَةِ لُوطٍ إِنَّمَا هِيَ خِيَانَةُ الْإِعْتِقَادِ، وَلَيْسَ فِي الْعَرِضِ، فَهَمَّا أَصَرَّتَا عَلَى الْكُفْرِ، وَلَمْ تَوْمِنَا بِنُوحٍ وَلُوطٍ ﷺ.

ولذلك فسر بعض العلماء الآية: {الْخَيْثُ الثَّالِثُ لِلْخَيْثَيْنِ وَالْخَيْثُونَ لِلْخَيْثِ الثَّانِي وَالْطَّيِّبَتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَتِ}؛ أَنَّ عَائِشَةَ طَيِّبَةٌ طَاهِرَةٌ



مباركة، فلو كانت غير طيبة لَمَا جَعَلَهَا اللهُ زَوْجًا لِأَطِيبِ الطَّيِّبِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ.

فكونها زوج رسول الله محمد ﷺ فهي من أطيب الطيبين، وليست خبيثة بحالٍ من الأحوال.

فائدة:

مخالطة الأشرار لا تجوزُ إلا اضطرارًا، فامرأةُ فرعونَ كانت زوجته قبل إسلامها وقبل إيمانها بموسى، وأسلمت وهي تحت إمرة وقوامته، ولا تستطيع أن تنفك منه إلا بالقتل، فكانت مخالطتها له بعد إسلامها اضطرارًا لا اختيارًا.

وكذلك امرأة نوح ولوط، هما زوجتان لهما من قبل بعثتهما، ودعاهما أزواجهما للإسلام؛ ولكنهما أصرتا على الكفر، فكانتا من الهالكين ومع الهالكين، مع أن الله نجى نوحًا ولوطًا ومن آمنَ معهما.

١٢٢ - هل الحسابُ يحصل في يومٍ أم في خمسين ألف سنة؟

هل هناك تعارض بين قوله سبحانه وتعالى: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا} [الفرقان: ٢٤]، وبين قوله سبحانه في ذكره لمقدار يوم القيامة: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج: ٤].



والمقيّل مأخوذٌ من القيلولة؛ أي: ينتهي وينقضي حسابُ أهلِ الجنةِ ويدخلونها في منتصفِ النهارِ في وقتِ القيلولةِ، وهو وقتُ الاستراحةِ في وسطِ النهارِ من الحرِّ، فهل الحسابُ يومٌ أم خمسون ألفَ سنةٍ؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ؛ لأن قوله تعالى في وصفِ أهلِ الجنةِ وما هم فيه من النعيمِ والكرامةِ: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾}؛ المقيّل: هو المأوى والمنزلُ، فهم في أحسنِ منزلٍ وفي أعظمِ مكانٍ ومكانةٍ، ومن جهةٍ أخرى حسابُهم ليس كحسابِ الكفارِ، فأهلُ الجنةِ يحاسبون حسابًا يسيرًا، فحسابُهم ينقضي بسرعةٍ، أما الكافرون فحسابُهم عسيرٌ، كما قال تعالى: {الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَبِيرُ لِلرَّحْمَنِ كَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾} [الفرقان: ٢٦]، وقال: {فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾} [المدثر: ٩-١٠]، فليس هناك تعارضٌ بين أن ينقضي حسابُ المؤمنين بسهولةٍ ويسيرًا، وأن يكونَ حسابُ الكفارِ عسيرًا طويلًا في يومٍ كان مقداره خمسين ألفَ سنةٍ، واللهُ تعالى على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وكلُّ أمرٍ عليه يسيرٌ، ولا يُسألُ عمّا يفعلُ وهم يُسألون.

١٢٣- هل الجنةُ غرفةٌ واحدةٌ أم عُرفٌ كثيرةٌ؟

هل هناك تعارضٌ بين قوله سبحانه وتعالى: {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾} [الفرقان: ٧٥]، وبين قوله سبحانه: {لَكِنَّ



الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ [الزمر: ٢٠]، وقوله: {وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ ءَامِنُونَ} ﴿٣٧﴾ [سبأ: ٣٧]، أهى غرفة واحدة أم غرف كثيرة؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض؛ لأن الغرفة هنا بمعنى الغرف الكثيرة، فذكرت مفردة للدلالة على جنس الغرف.

كما تُذكر «السماء» مفردة أحياناً؛ لتدلّ على جنس السموات، وهذا أسلوب معروف في لغة العرب، فذكر المفرد المعرّف بالألف واللام للدلالة على جنسه أحياناً، ويُقصدُ بالغرفة أيضاً الدرجة العالية في الجنة، فالغرفة سُميت غرفة؛ لارتفاعها، قال تعالى: {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ}؛ أي: الدرجة العالية في الجنة.

١٢٤ - هل قوم نوح كذبوا نوحاً فقط أم كذبوا جميع الرسل؟

هل هناك تعارض بين قوله سبحانه وتعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ١٠٥]، وبين قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ} [الشعراء: ١١٧]، فهل هم كذبوا نوحاً وحده أم كذبوا جميع الرسل، وبخاصة أن نوحاً كان أول رسول، والرسل جاؤوا من بعده، فكيف يكذبون رسلًا لم يدركوهم؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض ولا تناقض في كلام الله؛ ولكن المعنى:



مَنْ كَذَّبَ رَسُولًا وَاحِدًا فَقَدْ كَذَّبَ جَمِيعَ الرِّسَالِ؛ لِأَنَّ دَعْوَةَ الرِّسَالِ كُلِّهِمْ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ التَّوْحِيدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥]، وَقَالَ أَيْضًا: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦]، وَاللَّهُ تَعَالَى حَكَمَ عَلَى مَنْ يُكَذِّبُ بَعْضَ الرِّسَالِ وَيُؤْمِنُ بِبَعْضٍ بِأَنَّهُ مِنَ الْكَافِرِينَ حَقًّا، وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} [النساء: ١٥٠-١٥١]، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ١٢٣]، وَقَوْلُهُ: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ١٤١].

فَمَنْ كَذَّبَ بِرَسُولٍ وَاحِدٍ فَقَدْ كَذَّبَ بِجَمِيعِ الرِّسَالِ، وَمَنْ كَفَرَ بِنَبِيِّ وَاحِدٍ فَقَدْ كَفَرَ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، قَالَ تَعَالَى: {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ} [البقرة: ٢٨٥].



١٢٥- هل المُرسَلُ لِسليمانَ عليه السلامِ مِنْ مَلِكَةٍ سَبَّأٍ رَسولٌ واحدٌ أم

جماعةٌ؟

هل هناك وجهٌ تعارضٍ في قوله سبحانه وتعالى إخبارًا عن بلقيسَ ملكة سبأ:

{وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾} [النمل: ٣٥]، فذكر

أنهم مرسلون جماعةً، وبين قوله عن الرسول: {فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أْتِمِدُّوَنِي

بِمَالٍ فَمَا آتَيْنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَيْتُكُم بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾}

[النمل: ٣٦]؛ أي: جاءه الرسول الواحد، وبين قوله إخبارًا عن سليمان: {أَرْجِعْ

إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾}

[النمل: ٣٧]، فهل كان المبعوث رسولاً واحداً أم كانوا مجموعةً من الرسل؟

الجواب: ليس في كلام الله تعالى أدنى تعارضٍ، فالمَلِكَةُ أرسلت مجموعةً

من الرسل، وعليهم رئيسٌ لهم، هو المتحدثُ باسمِها وباسمِ الجميع، وكان

الخطابُ من هذا الرئيسِ لسليمانَ عليه السلام، ومن سليمانَ له بصفته الممثلُ

عن الرسل وعن المملكةِ كُلِّها، وَمَنْ مَعَهُ تَبَعٌ لَهُ، وهذا أسلوبٌ معروفٌ في جميع

اللغات، وعند جميع الأمم بلا خلافٍ.



١٢٦- هل الأمم تُحْشَرُ كُلُّهَا إلى ربِّها؟ أم المُكذِّبون فقط؟

هل هناك تعارض بين قوله سبحانه وتعالى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾} [النمل: ٨٣]، وبين قوله: {وَكُلُّ أُمَّةٍ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾} [النمل: ٨٧].

الجواب: ليس بين كلام الله أدنى تعارضٍ، فقوله تعالى: {وَكُلُّ أُمَّةٍ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾}، هذا هو الحشرُ العامُّ لجميعِ الخلائقِ، كقولِ النبي ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاهُ غُرْلًا، {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}» [الأنبياء: ١٠٤] ^(١).

وأما قوله سبحانه: {وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾} فهذا حشرٌ خاصٌّ للمُكذِّبين؛ لتوبيخهم وتبكيتهم بقوله تعالى: {قَالَ أَكُذِّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾} [النمل: ٨٤-٨٥].

١٢٧- هل الجبال ثابتةٌ راسخةٌ أم أنها تتحرَّك وتسيرُ؟

هل هناك تعارض بين قولِ الله تعالى: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾}

^(١) أخرجه البخاري (٤٧٤٠)، ومسلم (٢٨٦٠).



[النمل: ٨٨]، وبين قوله تعالى: {وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا ۖ} [النبا: ٧]، {وَالْجِبَالُ أَرْسُلَهَا} [النازعات: ٣٢]، {وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ} [الحجر: ١٩] ونحو ذلك، فهل الجبال مُتَحَرِّكَةٌ كحركة السحاب؟ أم أنها أوتادٌ راسيةٌ ثابتةٌ؟

الجواب: ليس في كلام الله أدنى تعارضٍ، فقوله تعالى عن الجبال: {أَوْتَادًا}، {أَرْسُلَهَا}، {رَوَاسِيَ شَمِخَاتٍ}، ونحو ذلك، هذا في الدنيا، جعلها الله ميزانًا للأرض من أن تميدَ بأهلها أو تميل، وأما قوله سبحانه: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} فهذا في الآخرة عند قيام القيامة، بدليل قوله قبل هذه الآية: {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ دَاخِرِينَ} ٨٧ وتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} [النمل: ٨٧-٨٨].

وهذا كقوله تعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ} ١٣ {وَمَحِلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً} ١٤ {فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} ١٥ {وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ} ١٦ [الحاقة: ١٣-١٦]، وكقوله تعالى: {يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا} ١٤ [المزمل: ١٤]، وقوله تعالى: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} ١ {وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ} ٢ {وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ} ٣ {وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ} ٤ {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ} ٥ {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ} ٦ {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} ٧ {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُيِلَتْ} ٨ {بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} ٩ {وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ} ١٠ {وَإِذَا السَّمَاءُ



كُشِطَتْ ⑪ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ⑫ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ⑬ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⑭ { [التكوير: ١-١٤]، وقوله تعالى: { إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَتًا ⑮ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ⑯ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ⑰ وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ⑱ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ⑲ } [النبا: ١٧-٢١]، وكقوله تعالى: { وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ⑳ } [الكهف: ٤٧].

١٢٨ - خطابُ امرأةِ فرعونَ هل هو لفردٍ أو جماعة؟

في قوله تعالى: {وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ①} [القصص: ٩]، هل المُخَاطَبُ واحدٌ أم جماعة؟

الجواب: أن خطابها في الأصل لفرعون، وهي تقول عن موسى: {قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ}، ثم تحوّل خطابها لفرعون وجنوده المكلفين بقتل الأولاد الذكور، وقالت: {لَا تَقْتُلُوهُ}؛ لأن القائم بالقتل على الحقيقة ليس هو فرعون، وإنما هم الجنود المكلفون به من قبل فرعون، فهم جميعاً قتلة، فكان خطابها للجميع.



١٢٩ - هل خطاب موسى لزوجته فقط؟ أم لها ولغيرها؟

في قوله تعالى حكاية عن موسى أنه: {فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا {

[طه: ١٠]، فهل خطابه لزوجته فقط أم لجماعة؟

الجواب: قول موسى عليه السلام لأهله - أي: لزوجته - يحتمل أنها كانت

وحدها، ويحتمل أن يكون معها أولادها، أو من يخدمها، فإن كانت وحدها

فقله لها: {امْكُثُوا} بخطاب الجماعة من باب حسن الأدب في الخطاب،

وحسن العشرة؛ توقيرًا واحترامًا وتعظيمًا لها، وإن كان معها أولادها أو من

يخدمونها، فالخطاب لهم جميعًا ولا إشكال.

والظاهر من القصة أنها كانت وحدها، وإنما خاطبها بخطاب الجميع؛

احترامًا وتوقيرًا وتأدبًا منه مع زوجته، كما قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ

لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»^(١).

١٣٠ - هل النبي يهدي أم لا يهدي؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ

اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص: ٥٦]، وبين قوله سبحانه:

{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: ٥٢]، فهل هذا تعارض في

^(١) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥)، وابن ماجه (١٩٧٧)، وصححه الألباني.



كتاب الله؟

الجواب: أن التعارض يستحيل في كلام الله تعالى، وإنما المعنى أن الهداية هدايتان:

الأولى: هداية الإرشاد، وهذه يملكها كل إنسان يُرشدُ الناسَ ويعلمهم، وهي الواردة في قوله سبحانه وتعالى: **{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي}**؛ أي: تُرشدُ وتُدلُّ على الطريق المستقيم.

الثانية: هداية التوفيق والسداد، وهذه لا يملكها إلا الله، وهي هداية القلوب للإيمان والإسلام، وهي المقصودة بقوله تعالى: **{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}**، وعليه فلا تعارض ولا تناقض في كلام رب العالمين.

١٣٢- هل النبوة والكتاب في ذرية نوح أم في ذرية إبراهيم عليهما السلام؟

هل هناك تعارض بين قوله تعالى عن نبيه إبراهيم **{وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَعَاتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}** [العنكبوت: ٢٧]، وبين قوله سبحانه وتعالى عن نبيه نوح **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ}** [الحديد: ٢٦].



الجواب: ليس هناك أدنى تعارض، فإنَّ نبيَّ الله نوحًا ﷺ هو أبو البشر الثاني، فكلُّ مَنْ جاء من بعده من البشر أو الأنبياء هو من ذريته، حتى إبراهيم ﷺ؛ فجميعُ الأنبياء من ذرية نوح ﷺ، حتى زمن إبراهيم ﷺ، وكان جميعُ الأنبياء من بعد إبراهيم من ذريته من إسماعيل وإسحاق ﷺ حتى نبينا محمد ﷺ، وإبراهيم وذريته ﷺ من ذرية نوح أيضًا، فلا تعارض ولا تناقض في كلام الله؛ بل إنَّ كله يبيِّن ويؤيد بعضه.

١٣٣ - هل الخطابُ للنبي ﷺ خاصَّة أم لجميع الأمة؟

قال الله تعالى للنبي محمد ﷺ: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [٣١] مُبَيِّنِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [٣٢] [الروم: ٣٠-٣٢]، فقوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ} خطابٌ للنبي ﷺ مفردًا، وقوله عزَّ وجلَّ: {مُبَيِّنِينَ إِلَيْهِ} للجمع.

ومن المقرر في قواعد اللغة أنَّ الحال إن لم تكن سببيَّة، فلا بد أن تكون مطابقةً لصاحبها أفرادًا، وتثنيةً، وجمعًا، وتأنيثًا، فهل هذا من التناقض في الكتاب؟

الجواب: أنه ليس هناك أدنى تعارض لا في كلام الله ولا في قواعد اللغة،



وإنما الخطابُ الخاصُّ للنبيِّ قائدِ الأمة ﷺ هو خطابُ لجميعِ الأمة، يُعمُّ حكمُه جميعَ الأمة، فتكونُ الحالةُ من الجميعِ الداخلِ تحتَ خطابه، وذلك مثلُ قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ} [الطلاق: ١] فالخطابُ باسمِ النبيِّ ﷺ والحكمُ يشمله ويشملُ جميعَ أمته.

ومثلُ قوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ١ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٢} [التحریم: ١-٢] فالخطابُ للنبيِّ ﷺ، والحكمُ يشملُ جميعَ الأمة.

فالأصلُ أن الخطابَ لقائدِ الأمة وقُدوتها ﷺ هو خطابُ لجميعِ الأمة ما لم يأتِ دليلٌ لتخصيصه دون غيره.

فالحكمُ الخاصُّ بالنبيِّ ﷺ يأتي بالنصِّ عليه من الله تعالى، كقوله سبحانه: {وَأَمْرًا مُمِنتَةً إِنَّ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} [الأحزاب: ٥٠]، فلا يجوزُ لامرأة أن تهَبَ نفسها لرجلٍ؛ للزواج منها إلا للنبيِّ محمدٍ ﷺ خالصةً له، ليست لغيره ﷺ.

وكقوله سبحانه: {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَغْبَجَكَ حُسْنُهُنَّ} [الأحزاب: ٥٢]، حرَّم الله عليه أن يتزوَّجَ بعدَ النسوةِ



اللاتي معه، وحرّم عليه طلاقهنّ ليأتي بغيرهنّ، وهذا من خصوصيّاته ﷺ.

١٣٤ - هل يبرّ المسلم الوالدين المشركين أم لا؟

هل هناك تعارض بين قوله سبحانه وتعالى في برّ الولد المسلم لوالديه المشركين: {وَإِنْ جَهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا^ط وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا^ط وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ^ط ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ^{١٥}} [لقمان: ١٥]، وبين قوله تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^{٢٢}} [المجادلة: ٢٢].

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض؛ لأنّ الصّحبة في الدنيا بالمعروف تختلف في معناها عن موادّة الكفار؛ فالموادّة معناها: المحبّة القلبية والموالاة والنصرة على الدين، وأما الصّحبة بالمعروف فمعناها المعاشرة بالمعروف بالبرّ والإحسان الدنيوي.

لأنّ الآية الكريمة جاءت من أولها بالوصية بالوالدين خيراً: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ}، ثم خصّت الأمّ بمزيد من البرّ: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ



وَفَضَّلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَّا الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ [لقمان: ١٤]، ثم ذكر الله تعالى حُكْمَ طاعةِ الوالدينِ المشركينِ وأنه لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ، فلو أرادَ الوالدانِ المشركانِ حملَ ولدهما المسلمِ على الشركِ فلا يجوزُ له طاعتُهما في الشركِ، {وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا}، ولم يقل: فعقُهما، ولم يأمره بالعقوقِ وسوءِ الأدبِ معهما، ثم ذكرَ حقَّهما عليه بالعشرةِ والبرِّ بالمعروفِ، فقال: {وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}، وذلك كقولهِ سبحانه وتعالى: {لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾} [الممتحنة: ٨]، فقد أمرَ الله بالبرِّ والإحسانِ لغيرِ المسلمين المسالمين غيرِ المحاربين، ومنهم الوالدانِ.

ولما جاءت أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ ﷺ للنبي ﷺ وقالت: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ؟ أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكَ»^(١)؛ أي: راغبةٌ عن الإسلامِ، ولا تريده مُصِرَّةً على الكفرِ.

فالموادَّةُ: محبةٌ، وموالاةٌ، ونُصرةٌ على الدينِ، وهذه لا تجوزُ من المسلم لغيرِ المسلمِ.

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٩)، ومسلم (١٠٠٣).



أما الصحبة بالمعروف: فهي حُسْنُ العِشرة والبرِّ والإحسان، وهذا أمر الله به مع المشركين المسالمين، سواءً من الآباء أو غيرهم.

١٣٥- هل الوالد يجزي عن ولده أم لا في القيامة؟

هل هناك تعارض بين قوله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ} [لقمان: ٣٣]، وما في معناها من الآيات: {يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} [الدخان: ٤١] {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ} [أُمِّهِ وَأَبِيهِ} [عبس: ٣٤-٣٧]، {وَصَلَحَتِهُ وَبَنِيهِ} [لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس: ٣٧]، {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون: ١٠١]، وبين قوله سبحانه في حق المؤمنين الصادقين وذرياتهم الذين اتبعوهم على الإيمان: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} [الطور: ٢١]، فدلَّت الآية على أن الله تعالى يرفع الأبناء المؤمنين إلى درجة آبائهم الصالحين المنازل العالية في الجنة؛ بسبب صلاح الآباء، مع أن الأبناء لم يبلغوا هذه الدرجة بإيمانهم، فهل هذا من التعارض في كتاب الله؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض ولا إشكال؛ لأن الأصل أن كل إنسان



يَحَاسِبُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَمَلِهِ وَمَسْئُولِيَّاتِهِ الَّتِي كَلَّفَهُ اللَّهُ بِهَا، {كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴿٢١﴾} [الطور: ٢١]، {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} [الأنعام: ١٦٤]، {وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾} [النجم: ٣٩]، فلا الأبُ يَنْفَعُ وَلَدَهُ، ولا الابنُ يَنْفَعُ أَبَاهُ، لا يَنْفَعُ الْإِنْسَانُ إِلَّا إِيْمَانُهُ بِاللَّهِ وَعَمَلُهُ الصَّالِحُ، وهذا هو الأصل.

ولكن الله تعالى ذو فضلٍ عظيمٍ ومن فضله وعطائه لأهلِ جنته أن يُكْرِمَ أَهْلَ طَاعَتِهِ ذَوِي الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ مِنَ الْآبَاءِ الصَّالِحِينَ، وذلك بأنْ يُلْحِقَ أَبْنَاءَهُمُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ إِلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ تَفْضُّلاً مِنْهُ وَكَرْماً، وهذا من نعيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: {ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾} [الحديد: ٢١]، فالله تعالى يَنْفَعُ الْأَبْنَاءَ بِصَلَاحِ الْآبَاءِ، كما يَنْفَعُ الْآبَاءَ بِصَلَاحِ الْأَبْنَاءِ، {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾} [الأنبياء: ٢٣].

١٣٦- هل الذي يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ هو الله، أم ملك الموت، أم ملائكة آخرون؟

هل هناك تعارضٌ بين قوله سبحانه وتعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} [الزمر: ٤٢]، وقوله: {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿٥١﴾} [السجدة: ٥١]، وقوله عز وجل: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾} [الأنعام: ٩٣]، فهل الذي يتولَّى قبضَ الأرواحِ هو الله بذاته، أم



مَلَكُ الموتِ وحده، أم ملائكة آخرون؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ في كلام الله تعالى.

فقوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ} كقوله: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا} [آل عمران: ١٤٥]؛ أي: أن الله تعالى هو الذي يأذن بقبض الأرواح، فالله يتوفّاها بأمره وإذنه.

وقوله تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ}؛ أي: أن المأمور المكلف بقبض الأرواح هو ملك الموت، وملك الموت له أعوان من الملائكة ينزعون الروح بأمره لهم، وهذا قوله تعالى: {وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ}، وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ}، وكما ورد في حديث البراء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ». قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبِ نَفْحَةٍ مِنْكِ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ». قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ - يَعْنِي بِهَا - عَلَى مَلَأٍ مِنْ



الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ، بِأَحْسَنِ
 أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَتَّهَوُا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا،
 فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيَفْتَحَ لَهُمْ فَيْشِيعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا،
 حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي
 عَلَيَّيْنِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتَهُمْ، وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أَخْرَجْتَهُمْ
 تَارَةً أُخْرَى». قَالَ: «فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ:
 مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ
 لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا
 عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ
 صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ»،
 قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطَيِّبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ». قَالَ: «وَيَأْتِيهِ
 رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا
 يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ،
 فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي،
 وَمَالِي». قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ،
 نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ
 الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ
 الْخَبِيثَةُ، أَخْرِجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ». قَالَ: «فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَتَزَعُّهَا



كَمَا يُتَزَعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جِيْفَةٍ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يَفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: { لَا تَمْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ } [الأعراف: ٤٠]، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتَطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا. ثُمَّ قَرَأَ: «وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ» [الحج: ٣١] «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسُمُومِهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُتَنِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوَعِّدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ يَحْيِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ،



فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ^(١).

فهؤلاء الملائكة هم أعوانُ مَلِكِ الموتِ في قبضِ الأرواحِ وتحتِ رئاستِهِ، ينزعون الأرواحَ، وهو يأخذُها منهم إلى الله تعالى.

١٣٧ - هل للمرأة أكثر من قلبٍ في بدنِها أم لها قلبٌ واحدٌ؟

قال الله تعالى: {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ} [الأحزاب: ٤]، وقال في حقِّ عائشةَ وحفصةَ رضي الله عنهما: {إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحریم: ٤] بصيغة جمعِ القلوبِ لهما، فهل في ذلك تعارضٌ؟

الجواب: أن هذا أسلوبٌ معروفٌ من أساليبِ اللغة، وهو أن المثنى إذا أُضيفَ إليه شيئان هما جُزأه، جاز في ذلك المضافُ الجمعُ والتثنيةُ والإفرادُ، وأوضحُها الجمعُ.

ومثال ذلك قولُ النبي ﷺ لأبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرِجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، فُؤُومَا»^(٢).

(١) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٣٨).



وقول النبي ﷺ لعلي وفاطمة رضيهما: «أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبَّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبَّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ»^(١).

علاوة على أن المقرر في اللغة عند بعض العلماء أن أقل الجمع اثنان، مثل قوله تعالى: {فَإِنْ كَانَ لَهُوَ إِخْوَةٌ}؛ أي: أخوان فصاعداً.

١٣٨ - هل النبي محمد ﷺ أبو المؤمنين أم لا؟

قول الله تعالى: {وَأَرْوَاجُهُ وَأُمَّهُتُهُمْ} [الأحزاب: ٦] يلزم منه أن النبي ﷺ هو أبو المؤمنين، بدليل قوله: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ، أَعْلَمُكُمْ»^(٢)، والله تعالى نفى أبوته في موضع آخر، فقال: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الأحزاب: ٤٠] هل هذا من التعارض؟

الجواب: ليس في ذلك أدنى تعارض ولا تناقض؛ لأن الأبوة في حق النبي ﷺ لأتمته أبوتان: مثبتة ومنفية، فالمثبتة: هي الأبوة الدينية الروحية، فهو أبو المؤمنين الروحي، قال رسول الله ﷺ: «أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أَعْلَمُكُمْ».

(١) أخرجه البخاري (٣١١٣)، ومسلم (٢٧٢٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٨)، وحسنه الألباني.



والمنفية: هي الأبوة النسبية الطينية، وكذلك أمهات المؤمنين، هم أمهاتنا في الحرمه والاحترام والتوقير والإكرام لا في الخلوة بهن، ولا في حرمه بناتهن^(١).

١٣٩- هل أزواج النبي ﷺ كنّ له حلالاً أم لا؟

هل هناك تعارض بين قوله تعالى: {يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْآ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ ﴿٥٠﴾} [الأحزاب: ٥٠]، وبين قوله: {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾} [الأحزاب: ٥٢]؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض ولا تناقض؛ فقوله سبحانه وتعالى: {إِنآ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ}: هذا في حق أزواجه أمهات المؤمنين اللاتي تزوجهنّ ودخل بهنّ.

وأما قوله: {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ}؛ أي: من بعد هؤلاء النسوة اللاتي تزوجتهنّ قبل نزول هذه الآية؛ أي: لا يحلّ لك الزواج بغيرهنّ، ولا أن تطلقهنّ فتستبدل بهنّ غيرهنّ.

وقد ورد عن بعض أمهات المؤمنين وبعض الصحابة أنّ تحريم الزواج عليه

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (٣٠).



بغيرهن نُسَخَ بعد ذلك، وأذن الله تعالى له بالزواج من غيرهن، ومن ذلك:

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَادٍ رضي الله عنه، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ} [الأحزاب: ٥٢]، قَالَ: ذَلِكَ لَوْ طَلَّقَهُنَّ لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يَسْتَبَدِّلَ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَنْكِحُ مَا شَاءَ بَعْدَ مَا نَزَلَتْ، وَنَزَلَتْ وَتَحْتَهُ تِسْعُ نِسْوَةٍ، وَتَزَوَّجَ أُمَّ حَبِيبَةَ وَجُوَيْرِيَةَ ^(١).

- وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى أَحَلَ اللَّهُ لَهُ النِّسَاءَ ^(٢).

- وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لَمْ يَمُتْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى أُحِلَّ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنَ النِّسَاءِ مَا شَاءَ إِلَّا ذَاتَ مُحَرَّمٍ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ^(٣).

١٤٠ - هل الإنذار والتذكير عامٌّ لكلِّ الناس؟ أم خاصٌّ بالمؤمنين؟

قال الله تعالى: {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبُ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} [يس: ١١]، وقال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان: ١]، فهل الإنذار للمؤمنين فقط أم

^(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٦٩١٦).

^(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٦٩١٦).

^(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦٧٨ / ٧).



لكلِّ العالمين؟ وهل هذا من التناقض؟

الجواب: أن الأصل في الإنذارِ والتذكيرِ والدعوة أنها لكلِّ عالمي الإنس والجنِّ، قال تعالى: {لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}، وقال أيضًا: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبأ: ٢٨]، وقال النبي ﷺ: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»^(١).

وأحيانًا يُخَصُّ به المؤمنون؛ لأنهم همُّ المنتفعون؛ لقوله تعالى: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات: ٥٥]، ولقوله تعالى: {إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنِ يَخْشَاهَا} [النازعات: ٤٥]؛ لأن الكافر عنيدٌ، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [البقرة: ٦].

وكما قال تعالى: {فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى} ١٤ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ١٨ [الليل: ١٤-١٨]، علاوةً على ما سبق: فالتذكيرُ والإنذارُ بالوحي عامٌّ، إلا إنه لما كان المنتفعُ به هو مَنْ يخافُ وعيدَ الله صار كأنه مُخَصَّصٌ به، كما قال الله تعالى: {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ} ٤٥ [ق: ٤٥]، {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات: ٥٥].

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥).



على استحالة التعارض والتناقض في كلام الرحمن



١٤١ - هل يونس عليه السلام نُبِذَ بِالْعَرَاءِ أم لا؟

هل هناك تناقض بين قوله سبحانه وتعالى: {فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ

﴿١٤٥﴾ [الصافات: ١٤٥]، وبين قوله سبحانه: {لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ

بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ} ﴿٤٩﴾ [القلم: ٤٩]؟ فهل يونس عليه السلام نُبِذَ بِالْعَرَاءِ أم لا؟

الجواب: ليس هناك تعارض؛ لأن المعنى: لولا أن تداركه الله برحمته لنُبِذَ

بالعراء حال كونه مذموماً؛ ولكن الله عز وجل برحمته ونعمته على يونس عليه السلام

نَبَذَهُ بِالْعَرَاءِ غَيْرَ مَذْمُومٍ؛ بل تاب الله عليه، وغفر له غضبه على قومه وعدم صبره

عليهم، وخروجه لبلد آخر؛ رجاء أن يجد مَنْ يُجِيبُ دعوته من غير أن يأذن له

ربه بذلك؛ لأن ذنب يونس عليه السلام أنه ترك قومه من غير أن يأذن الله له بالخروج،

وقد خرج ليدعو غيرهم إلى الله؛ لعله يجد فيهم مَنْ يقبل دعوته.

فالله تعالى لم يجعله مذموماً، وإنما جعله عبداً صالحاً محموداً، فأرسله إلى

مِثَّةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ، فَأَمَّنُوا جَمِيعاً بِهِ، وَصَدَّقُوهُ.



١٤٢ - هل المُسْرِفون في المعاصي لهم توبة أم هم في النار؟

هل هناك تعارض بين قوله سبحانه وتعالى: {قُلْ يَعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣]، وبين قوله سبحانه: {وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ} [غافر: ٤٣]؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض ولا تناقض، فقوله سبحانه: {قُلْ يَعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ}: هذا نداء من الله تعالى للأحياء المُسْرِفين في المعاصي والشرك أن يتوبوا إلى الله، فإن تابوا قبل الله توبتهم، وعفا عنهم.

وقوله: {وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ} [٤٣]: هذا إخبار من الله عمّن مات على الشرك والكفر أنه من أهل النار، وأما عصاة الموحدين فهم في مشيئة الله، إن شاء عفا عنهم برحمته، وإن شاء عذبهم على قدر مُعَيَّن ثم أخرجهم من النار؛ لأنه لا يُخَلَّدُ في النار مُوَحِّدٌ، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} [النساء: ٤٨]؛ أي: إذا مات العبد مشركاً فلن يُغْفَرَ له، {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}؛ أي: الذنوب التي هي دون الشرك إن مات عليها صاحبها ولم يُتَّب منها، فهو في مشيئة الله، إن شاء غفر له وعفا عنه، وإن شاء عذبه: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا



يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣].

١٤٣ - هل الملائكةُ تستغفرُ لكلَّ مَنْ في الأرضِ أم للمؤمنين فقط؟

هل هناك تعارض بين قوله سبحانه وتعالى عن الملائكة: {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا} [غافر: ٧]، وبين قوله سبحانه: {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ}؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض، وإنما هذا من العامِّ المخصوص، فأيةُ سورة غافر مخصَّصةٌ لآيةِ الشورى، ويكون المعنى: ويستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين.

وعليه فلا تناقض ولا إشكال، والحمد لله رب العالمين.

١٤٤ - هل فرعون وقومه المكذبون يُصِيبُهُمْ بعضُ العذابِ أو كلُّه؟

قال الله تعالى إخبارًا عن قول مؤمن آل فرعون في دفاعه عن موسى ﷺ: {وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ}، والمناسب أن يصيبهم كلُّ الذي توعدَّهم إياه، فلماذا قال: «بعض»، ولم يقل: «كل»؟

الجواب: أن الذي توعدَّهم به موسى ألوانٌ من العذاب، في الدنيا، وفي القبر، وفي الآخرة.



فالعذابُ العاجلُ الآنَ عذابُ الدنيا، ولذلك قال: {بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ}، وهذا أسلوبٌ عظيمٌ في المبالغةِ في التحذيرِ من العذابِ المُهِلِكِ، وأن عذابَ اللهٍ للكافرينِ المعاندينِ شديدٌ ومُهينٌ وأليمٌ.

علاوةً على أن كلمةَ «بعض» قد تأتي بمعنى: «كل»، فيجوز أن يكونَ المعنى أيضاً: يُصِيبُكُمْ كُلُّ الَّذِي يَعِدُكُمْ، وهذا جائزٌ في اللغة.

١٤٥- هل الإلهُ واحدٌ أم اثنان؟

هل هناك تعارضٌ بين قوله سبحانه وتعالى: {وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ}، وقوله: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}، وبين قوله سبحانه: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ؟}

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ، فاللهُ واحدٌ لا شريكَ له، ولا نِدَّ، ولا شبيهَ، ولا نظيرَ، ولا ثانيَ له، ولا ولدَ، وليس له صاحبةٌ.

ولكن معنى الآية: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ؟}؛ أي: هو سبحانه وتعالى إلهُ أهلِ السماءِ وإلهُ أهلِ الأرضِ، فهو المألوهُ المعبودُ وحدهُ في السماءِ والأرضِ، {وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ [ص: ٦٥-٦٦].



١٤٦- هل الكافر في العذاب عزيز كريم أم مُهان ذليل؟

هل هناك تعارض بين قوله سبحانه وتعالى: {ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ} (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان: ٤٨-٤٩]، وبين قوله تعالى: {وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}، فهل الكافر في النار معزز مكرم أم معذب مُهان؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض؛ فالكافر مُهان مُعَذَّبٌ على كلِّ أحواله، وإنما معنى قوله سبحانه وتعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}؛ أي: ذُقْ العذاب، إنك أنت الخسيسُ الحقيِرُ، فهذا أسلوبٌ توبيخٍ وتقريعٍ وتأنيبٍ، وزيادةٌ في المهانة.

قال قتادة: لما نزلت: {خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ} (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ}.

قال أبو جهل: ما بينَ جبلَيْها رجلٌ أعزُّ ولا أكرمُ مني. فقال الله تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} (١)؛ أي: الخسيسُ الحقيِرُ المُهان.

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١ / ٦١).



١٤٧- هل النبي ﷺ يعلم ما يفعل به أم لا؟

هل هناك تعارض بين قوله سبحانه وتعالى: {قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ} [الأحقاف: ٩]، وبين قوله تعالى: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}، فهل النبي ﷺ مغفور له؟ أم لا يدري ما يفعل به؟ وهل هذا تناقض؟

الجواب: ليس في ذلك أدنى تناقض؛ لأن معنى قوله تعالى: {وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ}؛ أي: في هذه الدنيا، فأنا لا أعلم الغيب، فالله تعالى هو وحده الذي يعلم الغيب، والأنبياء لا يعلمون من الغيب شيئاً إلا بما أخبرهم الله به بالوحي.

وأما النبي محمد ﷺ فهو سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من يدخل الجنة ولا فخر، قال ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ فَأَطْرُقُ الْبَابَ، فيقول المَلَكُ: مَنْ؟ فأقول: أنا محمد، فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك»^(١). وعليه فلا إشكال.

(١) أخرجه مسلم (١٩٧).



١٤٨- هل مؤمنو الجن سيدخلون الجنة أم لا؟

قال الله تعالى حكاية عن قول مؤمني الجن الذين استمعوا القرآن فأمنوا به: {يَقُومَنَّا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَعْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأحqاف: ٣١].

تمسك بعض العلماء بالآية كأبي حنيفة على أن مؤمني الجن يجارون فقط من العذاب؛ لكن لا يدخلون الجنة، فهل هذا صحيح؟ وهل هناك تعارض بين هذا القول وبين قوله سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا}؟ وهل هذه الآية خاصة بالإنس فقط؟ أم أنها شاملة للإنس والجن؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض، فالإنس والجن مكلفون بعبادة الله، ولكل جزاؤه نظير عمله؛ لقول الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}، فالإنس والجن مكلفان بالعبادة والتوحيد، والنبى محمد ﷺ بعث إلى الجن والإنس، والخطاب في القرآن للإنس والجن: {يَمَعْشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّ أَسْطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ}، وكان جواب الجن المسلمين واضحاً كلما نزل قوله تعالى في سورة



الرحمن: {فَبِأَيِّ آءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فهذا خطابٌ للجنِّ والإنس، فكانوا يقولون: «وَلَا بِأَيِّ آلَائِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ، فَلَكَ الْحَمْدُ»^(١).

وهكذا قال الله تعالى: {وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ}، وهذا من صيغ العموم التي تشمل الجنَّ والإنس، فمؤمنو الجنِّ والإنس كلُّهم من أهل الجنة بمشيئة الله تعالى.

١٤٩- هل في الجنة نهرٌ واحدٌ؟ أم أنهارٌ متعددة؟

هل هناك تعارضٌ في قوله سبحانه وتعالى عن الجنة: {فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى}، وقوله: {تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}، وبين قوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ}، فهل هو نهرٌ واحدٌ أم أنهارٌ متعددة؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ، فالجنة فيها أنهارٌ متعددة، كما ورد في آيات القرآن العظيم، ومعنى قوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ}؛ أي: أنهارٌ كثيرةٌ متعددة.

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص).



١٥٠ - هل هو ضيفٌ واحدٌ أم جماعةٌ؟

هل في قوله سبحانه وتعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ} (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥)، هل ضيفٌ إبراهيم عليه السلام واحدٌ أم جماعةٌ؟ وهل هناك خطأ وتناقض لغويٌّ في القرآن؟

الجواب: ليس هناك أدنى خطأ في القرآن ولا تناقض، وإنما لفظة الضيف في اللغة تطلق على المفرد والجمع؛ لأن أصلها مصدرٌ من الفعل (ضاف)، فنقلت من المصدرية إلى الاسمية^(١).

١٥١ - هل النبي ﷺ ينطق عن اجتهادٍ منه؟ أم عن الوحي فقط؟

هل هناك تعارض بين قول الله سبحانه وتعالى في حق النبي ﷺ: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ} (٣) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} [النجم ٣-٤]، وبين قوله سبحانه: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ} [التوبة: ٤٣] في إذن المنافقين، وقوله: {مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُوَ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٦٧) [الأنفال: ٦٧] في شأن أسرى بدرٍ لما قبل الفداء منهم.

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٢٢١).



الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ ولا تناقضٍ؛ فكلُّ ما يبلغه النبي ﷺ إنما هو بوحىٍ من الله، سواءً كان كتاباً أم سنةً؛ لقوله سبحانه: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} [النجم ٣-٤]، وأما اجتهاده في بعض الأمور فهو بإذنٍ من الله له؛ بدليل قوله سبحانه: {فَأَذِّنْ لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ}.

فإن أصاب في اجتهاده أقره ربه عليه، وإن لم يُصِبْ في اجتهاده عاتبه الله عليه، وبين له الصواب، وإن اجتهد أحياناً من عند نفسه، فاجتهاده ليس لهوى في نفسه، وإنما يريد الحق ورضا الله عليه، فإن أخطأ صوبه الله وبين له. والله أعلم.

١٥٢- هل عاقر الناقة واحد أم مجموعة من الناس؟

هل هناك تعارض بين قوله سبحانه وتعالى: {فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ} [القمر: ٢٩]، وبين قوله سبحانه: {فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا} [الأعراف: ٧٧]، وقوله: [الشمس: ١٤]؟

الجواب: أن جميعهم مُشترِكٌ في قتلها، والمباشر لقتلها واحدٌ منهم، فكلُّهم تمالؤوا واتفقوا، وعقدوا العزم على قتلها، فكلُّهم قتلوها؛ لذلك كان العقاب على الجميع: المباشِر، والمتمالئ على القتل.



قال النبي ﷺ: «إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ». قالوا: يا رسول الله، قد عَرَفْنَا الْقَاتِلَ، فما بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قال النبي ﷺ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»^(١).

فدلَّ هذا الحديثُ أن العزمَ على الفعلِ عملٌ يؤاخذُ به الإنسانُ.

١٥٣ - هل تعذيبُ أهلِ النارِ من النِّعمِ؟

يقول الله تعالى متوعِّدًا عَصَاةَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ بِالنَّارِ وَالْعَذَابِ: {يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

{شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ}؛ أي: لهبٌ من نارٍ، {وَنُحَاسٌ}؛ أي: نحاسٌ مُذابٌ يُصَبُّ عليهم.

فكيف قال بعدها: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}، فهل هذا العذابُ بالشَّوَاظِ وَالنُّحَاسِ الْمَذَابِ مِنَ الْآلَاءِ وَالنِّعَمِ؟

الجواب: أن قوله سبحانه: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} لم يُذكرْ إلا بعدَ نعمةٍ أو موعظةٍ أو إنذارٍ وتخويفٍ من الله، وهذه كلها آلاءٌ ونعمٌ من الله،

(١) أخرجه البخاري (٣١).



فالمواعظُ والتخويفُ تُلِينُ القلوبَ وتحملُها على الخشوعِ والخوفِ من الله تعالى، وتحملُها على الفوزِ بالجنةِ والنجاةِ من النارِ.

وهذا من أجل النعم!

١٥٤ - هل الله تعالى أقسم أم لم يقسم؟

هل هناك تعارض بين قوله سبحانه وتعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} [الواقعة: ٧٥]، وبين قوله: {وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} [الواقعة: ٧٦]، هل الله جل جلاله أقسم أم لم يقسم؟ وما معنى ذلك؟

الجواب: ليس هناك تعارض ولا تناقض؛ فالله جل وعلا يقسم بمواقع النجوم ويقول: {وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} [٧٦] إِنَّهُ لَقَرَّاءٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ}، ولا النافية في قوله: {فَلَا أُقْسِمُ...}؛ هي نافية لتكذيب الكفار بالقرآن والرسول ﷺ؛ أي: لا صحة لما يقوله الكفار والمشركون، ثم قال: أقسم بمواقع النجوم، {وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ}، يقسم على أن القرآن تنزيل من عند الله، وليس من كلام محمد النبي ﷺ.

وهذا كقوله تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ}؛ أي: أقسم بهذا البلد، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ} ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ}.



ومن عادة العرب أنها تلفظ بـ«لا» من غير قصد معناها الأصلي في النفي؛ بل لمجرد تقوية الكلام وتوكيده، كقوله تعالى: {مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۖ أَأَلَّا تَتَّبِعَنِ}؛ يعني: أن تتبعني؛ لقوله: {مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} [الأعراف: ١٢]؛ يعني: أن تسجد لأدم، وقوله: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ} [ص: ٧٥]، وقوله: {لَئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ}؛ أي: ليعلم أهل الكتاب، وقوله: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ}؛ أي: فوربك، وقوله: {وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ}؛ أي: والسيئة.

وكذلك يمكن أن تكون لام ابتداءً أُشْبِعَتْ ففتحها، والعرب ربما أشبعت الفتحة بألفٍ، والكسرة بياءٍ، والضممة بواوٍ.

فيكون أصل القسم: «فَلَا قِسْمٌ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ»، «فَلَا قِسْمٌ بِهَذَا الْبَلَدِ»، «فَلَا قِسْمٌ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ»، وهو مروى عن البرقي والحسن^(١).

١٥٥- هل الله فوق سمواته مستوٍ على عرشه أم أنه معنا أينما كنا؟

هل هناك تعارض بين قول الله سبحانه وتعالى: {ثُمَّ أَسْتَوِيَ عَلَى الْعَرْشِ} [الحديد: ٤]، {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوِيَ}، {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ}، ونحو ذلك من الآيات الدالة على علو الله فوق خلقه، وبين قوله: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٣٨٣-٣٨٥).



مَا كُنْتُمْ} [الحديد: ٤]، وقوله: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا}، فهل الله على عرشه فوق سمواته؟ أم أنه معنا أينما كنا؟ وهل في هذا تناقض؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ في كلام الله تعالى؛ ولكن معنى قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}، وما في معناها من آيات الاستواء والفوقية أن الله تعالى موصوفٌ بعلو الذات وعلو القدر والقهر، فالله تعالى بذاته فوق سمواته مستوٍ على عرشه استواءً يليقُ بجلاله بلا كيفٍ ولا تشبيه.

وقوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ}؛ معناه: أن الله معنا بعلمه وسمعه وبصره ونصره وتأيدته، والمعية معيتان: عامةٌ وخاصةٌ، فالعامة: هي معية العلم والإحاطة. والخاصة: هي معية النصر والتأييد، كما قال الله تعالى: {قَالَ لَا تَخَافُ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى}، وقال: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}.



١٥٦- هل الله تعالى يهدي ويغفر أم لا؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [الصف:٥]، وبين قوله تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} [الأنفال:٣٨]، و {قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر:٥٣].

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض؛ بل الله يدعو إلى التوبة والعفو والمغفرة، ويفرح بتوبة العبد ويبدل سيئاته حسنات؛ لكن إذا أصرَّ العبد على فسقه وكفره وعداوته لله ورسوله فهذا لا يهديه الله؛ بل يُزيغ قلبه، ويطبّع عليه، ولهذا قال تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.

١٥٧- هل الله صدّق المنافقين في شهادتهم بأن محمداً رسول الله؟ أم

كذبهم؟

قال الله تعالى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} [المنافقون:١]، أخبر الله عنهم أنهم شهدوا لنبيه ﷺ بالرسالة، ثم كذبهم؟

الجواب: أخبر الله عنهم شهادتهم القولية بأنهم يقولون نشهد أنك لرسول الله ﷺ وهم فيها كاذبون، ثم أخبر عن شهادتهم القلبية الباطنية التي بينهم هم،



فقال: {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ}؛ لأنهم لا يشهدون له بالرسالة بقلوبهم؛ لأنهم ذُورٌ وجهين: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ} ١٤٠ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}، قال الله عنهم: {يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ}.

١٥٨- هل إذا استغفر النبي ﷺ للمنافقين أكثر من سبعين مرة يغفر لهم أم

لا؟

هل هناك تعارض بين قوله تعالى في شأن المنافقين: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [المنافقون: ٦]، وبين قوله: {أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [التوبة: ٨٠]؟

الجواب: ليس هناك تعارض بين الآيتين؛ بل الآية الثانية أكدت ما ورد في الآية الأولى أنهم لن يغفر لهم على كل حال؛ لأنهم كفارٌ في الباطن زنادقة، حتى ولو ألف مرة، وذكر السبعين على سبيل الكثرة والمبالغة؛ يعني: مهما استغفرت لهم فلن يغفر الله لهم، {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.



١٥٩ - هل الشيطانُ وسواسٌ؟ أم خناسٌ؟

قال الله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١ مَلِكِ النَّاسِ ٢ إِلَهِ النَّاسِ ٣} مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ؛ الوسواسُ: هو كثيرُ الوسوسةِ، فهو قريبٌ من الإنسانِ بوسوستِهِ. والخناسُ: هو كثيرُ التأخرِ والرجوعِ عن إضلالِ الناسِ. فهل هو وسواسٌ أم خناسٌ؟ وهل هو قريبٌ أم بعيدٌ؟

الجواب: أن الشيطانَ يكونُ وسواسًا عند غفلةِ العبدِ عن ذكرِ ربِّه، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُو شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُو قَرِينٌ} [الزخرف: ٣٦]، ويكون خناسًا مُبعدًا عند ذكرِ العبدِ لربِّه: {إِنَّهُوَ لَيْسَ لَهُو سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا} ^(١).

قال النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» ^(٢).

١٦٠ - هل الخطابُ للمُفردِ أم للجمعِ؟

قال الله تعالى: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُو رِزْقًا}، فالخطابُ كُلُّهُ في الآيةِ للمفردِ، ثم قال: {خَالِدِينَ} للجمعِ، فهل هناك تعارضٌ في هذا الخطاب؟!

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٤٠٥).

(٢) أخرجه مسلم (٧٨٠).



الجواب: ليس هذا من بابِ التناقض في القرآن؛ بل هذا أسلوبٌ معروفٌ في لغة العرب، وهو كثيرٌ في القرآن الكريم؛ وذلك لأن الأفراد باعتبار لفظ: «مَنْ»، والجمع باعتبار معناها.

وقال الشنقيطي: وفي هذه الآية ردٌّ على مَنْ زعمَ أن مُراعاة المعنى لا يجوزُ بعدها مراعاة اللفظ؛ لأنه في هذه الآية راعى المعنى في قوله: «خالدين»، ثم راعى اللفظ في قوله: {قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ وَرِزْقًا} ^(١).

علاوة على أن «مَنْ» مِنْ ألفاظِ العموم، {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}.

١٦١- هل مريمٌ مذكورة أم مؤنثة؟

قال الله تعالى في شأن مريم: {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَنَاتَيْنِ}، ف«القانتين»: جمع مذكرٍ سالم، وهي امرأة، فلمَ لم يقل: «من القانتات».

الجواب: هذا أسلوبٌ معروفٌ في لغة العرب، وهو تغليبُ الذكر على الأنثى في الجمع، فلما أراد أن يبين أن مريمَ من عبادِ الله القانتين، وكان منهم ذكورٌ وإناثٌ غلبَ الذكورَ، كما هو الواجبُ في اللغة العربية، ونظيره قوله تعالى:

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٣٥٩).



{وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْبِكِ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ} فالخاطئون منهم ذكورٌ، ومنهم وإناثٌ، فغلبَ الذكورَ، وكقوله تعالى عن ملكة سبأ: {وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ}، وقد أطبقَ اللسانُ العربيُّ على ذلك.

١٦٢ - هل طعامُ أهلِ النارِ من غِسلينِ أم من صَريعٍ أم من زَقُومٍ؟

قال الله تعالى عن أهلِ النارِ وطعامِهِم: {وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ} [الحاقة: ٣٦]، وهو عصارةٌ وصديدُ أهلِ النارِ، وقال: {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيْعٍ} [الغاشية: ٦]، والصَّريعُ هو الشوكُ، وقال سبحانه: {إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ} طَعَامٌ الْأَثِيمِ}، فهل أهلُ النارِ يأكلون الغِسلينِ أم الصَّريعَ أم الزَّقُومَ؟ وهل هذا تعارضٌ بين الآيات؟

الجواب: أن التعارضَ مُحالٌ في كلامِ الله ورسوله؛ ولكن معنى ذلك أن العذابَ ألوانٌ متعددةٌ في جهنمَ، فمن أهلِ النارِ مَنْ يُعَذَّبُ بِإِطْعَامِهِ الغِسلينِ الذي هو عصارةُ أهلِ النارِ، ومنهم مَنْ يُعَذَّبُ بِإِطْعَامِهِ الشوكَ الذي يقطعُ البطونَ، ومنهم مَنْ يُعَذَّبُ بِإِطْعَامِهِ الزَّقُّومَ الذي يغلي في البطونَ، ومنهم مَنْ يطعمُ هذا مرَّةً، وهذا مرَّةً، وهذا مرَّةً، فإلغذابُ في جهنمَ طرائقُ شتى، وأهلُ النارِ طبقاتٌ ودَرَكاتٌ، ولكلُّ منهم العذابُ اللائقُ به.



قال تعالى: {إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ}، وقال النبي ﷺ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَبُو طَالِبٍ؛ يَلْبَسُ نَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ»^(١).

١٦٣- هل نوحٌ كان يعلمُ الغيبَ أم لا؟

ذكر الله تعالى عن نوحٍ أنه قال في دعائه لربه: {إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا} [نوح: ٢٧]، وقال الله تعالى على لسان نوحٍ أنه قال لقومه: {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ}، فهل نوحٌ علم الغيب وعرف أنهم لن يلدوا إلا فاجراً كفاراً، ولن يؤمنوا أبداً إن عاشوا؟ مع أنه قال: إنه لا يعلم الغيب، فهل هذا من التعارض؟

الجواب: ليس في ذلك أدنى تعارضٍ بخبرِ الله تعالى وكلامه، فنوحٌ ﷺ كجميع الأنبياء والرسل لا يعلمون من الغيب إلا ما أخبرهم الله به؛ قال تعالى عن نفسه: {عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} ٥٦ {إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ}، فالرسل لا تعلم من الغيب شيئاً إلا ما أوحاه الله إليهم، والله تعالى أوحى إلى نوحٍ قوله: {أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ} [هود: ٣٦].

(١) أخرجه مسلم (٢١٢).



فحينها دعا نوحٌ على قومِهِ وقال: {رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ
دَيَّارًا ﴿٦٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوْا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوْا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا}، {فَدَعَا
رَبَّهُ وَأَنِّي مَغْلُوْبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴿٦٧﴾} [القمر: ١٠].

وعليه فلا تعارض ولا إشكال.

١٦٥- هل قيامُ الليل واجبٌ أم ليس بواجبٍ؟

هل هناك تعارضٌ بين قوله سبحانه وتعالى: {يَتَأْتِيهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ فُمُ اللَّيْلِ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَّصْفَهُ وَ أَوْ أَنْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} [المزمل ١-٦]، وبين قوله تعالى: {عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا
تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي
الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ
مِنْهُ}، فهل هو واجبٌ أم لا؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ؛ لأن قيامَ الليل كان في أول الأمر واجباً،
ثم نُسخ من الوجوب إلى السُّنَّة والاستحباب، فصار سُنَّةً.

ولذا قالت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: إن الله افترض قيامَ الليل في أول هذه
السورة، فقام رسولُ الله ﷺ وأصحابه حَوْلًا، حتى انتفخت أقدامُهم، وأمسَكَ



الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهراً، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعاً من بعد فريضة^(١).

١٦٦- هل أهل الجنة يُحَلَّون فيها أساور من ذهب أم من فضة؟

هل هناك تعارض بين قول الله سبحانه عن أهل الجنة: {يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ} [الكهف: ٣١]، وبين قوله: {وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ}؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض، فأهل الجنة منهم من يُحَلَّى بأساور من ذهب، ومنهم من يُحَلَّى بأساور من فضة، ومنهم من يُحَلَّى بالاثنتين. والله أعلم.

١٦٧- هل أهل النار ينطقون ويعتذرون أم لا؟

هل هناك تعارض بين قوله تعالى عن أهل النار: {هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ} وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} [المرسلات: ٣٥-٣٦]، وبين قوله سبحانه: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} ١٠ {فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ}، وقوله: {تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} ٩٧ {إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} ٩٨ {وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ} ٩٩ {فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ} ١٠٠ {وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} ١٠١ {فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}، ونحو ذلك من الآيات الدالة على أنهم يتكلمون ويتحسرون ويندمون؟

(١) أخرجه مسلم (٧٤٦)، وأحمد (٢٤٣٨).



الجواب: ليس هناك أدنى تعارض؛ لأن القيامة مَواطنٌ ومواقفٌ، ففي بعضها لا ينطقون، ولا يؤذن لهم فيعتذرون، وفي بعضها ينطقون بقدره الله ويعتذرون ويتحسرون ويندمون، ويقولون: {يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ...}، {يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}، {يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾}، {يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا}، ونحو ذلك زيادةً في حسرتهم وتوبيخهم وتعذيبهم.

١٦٩- هل التنازُّ بالألقاب جائز أم حرام؟

قال الله تعالى: {وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ}، وقال: {عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى}، فهل في ذلك تناقض أو تعارض في كلام الله؛ إذ ينهى عن التنازُّ بالألقاب والتعير بالأوصاف، ثم يصف ابن أم مكتوم بالعمى؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض؛ لأن الله ذَكَرَ عبدَ الله بن أم مكتوم ﷺ بالأعمى؛ ليُبَيِّنَ عذره حين دخل على النبي ﷺ فَقَطَعَ كلامه، وهو يتكلم مع أكابر قريش يدعوهم للإسلام يرجو هدايتهم.

فَوَصَفَهُ بالأعمى ليس انتقاصاً من قدره، ولا ذمّاً له، وإنما هو لبيان عذره رضي الله عنه.



بل الله أثنى عليه في القرآن فقال: {وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى}، فهذا رجلٌ عنده همةٌ عاليةٌ وسعيٌّ جادٌ في طاعةِ الله، ويخشى الله تعالى بالغيب والشهادة بشهادةِ الله له.

١٧٠- هل القرآن كلامُ الله أم كلامُ جبريل؟

قال الله تعالى في سورة التكوين عن القرآن العظيم: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ}؛ أي: القرآن قولُ الرسولِ الكريمِ المَلَكِ جبريل ﷺ، وقال الله تعالى عن القرآن أنه كلامه هو سبحانه فقال: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَمَ اللَّهِ}، وتوعدَ الله بالنارِ مَنْ قال بأن القرآنَ ليس كلامه وأنه كلامُ محمدٍ ﷺ، فقال: {فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٤٦﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٤٧﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٤٩﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ} [المدرثر: ٢٦-٢٨].

فهل القرآن كلامُ الله أم كلامُ جبريل؟ وهل في ذلك تعارضٌ وتناقض؟!

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ في ذلك؛ لأن القرآن كلامُ الله تعالى، تكلم به حقيقةً وسمعه جبريل من ربِّ العزة وحفظه، وأمره الله بتبليغه إلى نبيه محمدٍ ﷺ، كما قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ}؛ أي: القرآن كلامُ منزَّلٌ من عندِ الله، أنزلَ الله



تعالى جبريل الأمين لقراءته وتبليغه إلى النبي محمد ﷺ؛ لِيُبْلِغَهُ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ، ويقرأه على أُمَّتِهِ.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى: الإيهامُ الحاصلُ من قوله: {إِنَّهُ لَقَوْلُ} يدفعه ذكرُ الرسول؛ لأنه يدلُّ على أن الكلامَ لغيره؛ لكنه أُرْسِلَ بتبليغه، فمعنى قوله: {لَقَوْلُ رَسُولٍ}؛ أي: تبليغه عَمَّنْ أرسله من غير زيادةٍ ولا نقصٍ^(١).

قال الله تعالى: {كِتَبٌ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ وَثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: ١].

١٧١- هل المحاسبُ نفسٌ واحدةٌ أم كلُّ الأنفسِ؟

هل هناك تعارضٌ بين قولِ الله تعالى: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} [الأنفطار: ٥]، وبين قوله سبحانه: {هُنَالِكَ تَبْلُغُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ} [يونس: ٣٩]، فهل هي نفسٌ واحدةٌ أم جميعُ النفوسِ؟!؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض؛ لأن جميعَ النفوسِ تُبْعَثُ يومَ القيامةِ، وتعلمُ كلُّ نفسٍ ما قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ، وكلُّ إنسانٍ يلقى كتابه منشوراً، فيقرأ ما فيه،

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٣٧٠).



ويعلم ما قدم، فقله سبحانه: {عَلِمْتُ نَفْسٌ}؛ أي: عَلِمْتُ كُلَّ نَفْسٍ؛ لأن النكرة تفيد العموم بقرينة السياق.

فالنكرة تفيد العموم إن جاءت في سياق النفي أو الشرط أو الامتنان، وكذلك إن جاءت بقرينة السياق، كقوله تعالى: {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَى مَا قَرَّرْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ} ^(١).

١٧٢- هل الكافر يؤتى كتابه بشماله؟ أم من وراء ظهره؟

هل هناك تعارض بين قول الله سبحانه وتعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَبِشْمَالِهِ} فيقول يَلِيَّتْنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَّةً....} [الحاقة: ٢٥]، وبين قوله تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ} ١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ١١ وَيَصْلَى سَعِيرًا} [الانشقاق: ١٠-١٢]، هل يؤتى كتابه بشماله أم من وراء ظهره؟

الجواب: ليس في ذلك أدنى تعارض؛ لأن الكافر يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، وعليه فلا تعارض ولا إشكال.

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٣٧١).



١٧٣- هل الكفار يُمهّلون أم يُحاربون ويُقاتلون؟

هل هناك تعارض بين قوله سبحانه وتعالى: {فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُؤْيَا} [الطارق:١٧]، وبين قوله سبحانه: {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً} ونحو ذلك من الآيات التي تأمر بالقتال؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض؛ لأن قوله سبحانه: {فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُؤْيَا} كان في زمن الاستضعاف في الزمن المكي، وكان قبل تشريع الجهاد والقتال للمعتدين.

ثم بعد الهجرة أذن الله للمؤمنين بجهاد الكافرين، فالإمهال يكون في حال الضعف أو الصلح ونحو ذلك، وأما القتال فيكون في حال القوة والقدرة والتمكين لردع المعتدين وحماية الدين.

١٧٤- هل القرآن محفوظ أم ينسى؟

هل هناك تعارض بين قول الله تعالى: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى} ٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ { [الأعلى:٦-٧]، دلت الآية على أن النبي ﷺ ينسى من القرآن ما شاء الله له أن ينسيه، وبين قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُو لَحَافِظُونَ} [الحجر:٩]، وقوله: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} ١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ { [القيامة: ١٦-١٧]، فهل هو محفوظ أم ينسى؟



الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ في كتاب الله تعالى؛ ولكنَّ الله جل وعلا

يقول: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا} [البقرة: ١٠٦].

فالله جل وعلا أنزل القرآن، وشرع فيه الأحكام، وشرع النسخ لبعض آياته بحكمته سبحانه، منها ما نُسخت تلاوته، ومنها ما نُسخت تلاوته وحكمه، ومنها ما نُسح حكمه وبقيت تلاوته، وله الحكمة البالغة في ذلك، ومن جملة هذا النسخ الذي شرعه الله وقدره أن يُنسي نبيه بعض الآيات والأحكام بمشيئته سبحانه ولحكمته البالغة، والله تعالى هو العليم الخبير: {إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى}، {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}، {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}.

١٧٥- هل التذكُّر بالقرآن يكون على العموم أم عند مظنة نفعه؟

قال تعالى: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى} [الأعلى: ٩]، وقال: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ

مُذَكِّرٌ} ❶ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ} [الغاشية: ٢١-٢٢]، فهل الذِّكْرَى لِمَنْ يَنْتَفِعُ بها

فقط أم للجميع؟ وهل في ذلك تعارض في كتاب الله؟!

الجواب: معنى قوله تعالى: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى}؛ أي: وإن لم تنفع،

كما قال تعالى: {إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ}، وكما قال: {إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ} ❶ لَسْتَ

عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ}، وكما قال: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي



مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}، وقال: {يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ...}.

وعليه فلا تعارض ولا إشكال في كلام الله تعالى، وهذا كقوله تعالى: {سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ}؛ أي: والبرد، ففي الكلام حذف، وهذا أسلوب معروف في لغة العرب.

وفي تذكير الناس بالكتاب والسنة ثلاث فوائد:

الأولى: ليكون معذرة إلى ربكم، فيكون المذكر والمبلغ أدّى ما عليه الله، ونفذ أمر الله بتبليغ الدعوة.

الثانية: إقامة الحجة على خلق الله تعالى من المدعوين.

الثالثة: لعلهم يتقون، فلعل الله أن يهديهم بهذا التذكير، ولعلهم يتقون الله تعالى.

ومن معاني قوله تعالى - كما قال الحافظ ابن كثير -: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتْ الذِّكْرَى}؛ أي: ذكر حيث تنفع الذكرى، ومن هنا يؤخذ الأدب في نشر العلم،



فلا يَضَعُه صاحبه في غير أهله، كما قال عليّ عليه السلام: ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تَبْلُغُه عقولهم، إلا كان فتنةً لبعضهم ^(١).

وقال: حدثوا الناس بما يعرفونه، أتريدون أن يُكَذِّبَ الله ورسوله ^(٢).

١٧٧- هل هو ملكٌ واحدٌ أم صُفوفٌ من الملائكة؟

قال الله تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر: ٢٢]، وقال: {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمِذٍ ثَمَنِيَّةٌ} [الحاقة: ١٧]، هل هو ملكٌ واحدٌ أم ملائكةٌ، وهل هذا تناقضٌ؟

الجواب: ليس هناك أدنى تناقضٍ، فالملائكةُ كثيرون، لا يُحْصِيهِمُ إلا الله، فالبيتُ المعمورُ الذي في السماءِ يطوفُ حوله كلُّ يومٍ سبعون ألفَ ملكٍ، ثم لا يعودون إليه أبدًا، لكنَّ معنى «ملك» في الآيات: هو جنسُ الملائكةِ، ومعناه: الملائكة، فمعنى قوله سبحانه: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}؛ أي: الملائكةُ تقفُ صفوفًا عند ربِّها سبحانه، وهذا كقوله تعالى: {ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ}.^(١)

(١) أخرجه مسلم (١/ ١١)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وانظر: تفسير ابن كثير

(٨/ ٣٨٠)، ورواه عن علي رضي الله عنه.

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٣٧١).



١٧٨- هل المسكين ليس عنده شيء أم عنده ولكن لا يكفيه؟

قال الله تعالى عن المسكين: {أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ} [البلد: ١٦]؛ أي: مسكينًا لاصقًا بالتراب ولا شيء عنده، وقال سبحانه: {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ} [الكهف: ٧٩]، وهنا بين أنهم مساكين، وعندهم سفينة يعملون عليها.

الجواب: أنه لا تعارض، فالمسكين أحيانًا يكون عنده مال؛ ولكنه لا يكاد يكفيه، وأحيانًا لا يكون عنده شيء من المال، فلا تعارض ولا إشكال. والله أعلم.

١٧٩- هل الإنسان مُجبرٌ من الله في الفجور والتقوى أم أنه صاحب اختيار؟

قال الله تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} [الشمس: ٧]-
[٨]، وقال تعالى: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ}، وقال عن الكفار: {فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ}، فهل الله هو الذي يُجبر العبد على الفجور أو التقوى؟ أم أن هذا باختيار العبد؟ وهل هذا من التناقض في كتاب الله؟!

الجواب: ليس هناك أدنى تناقض في كلام الله تعالى؛ لأن معنى قوله سبحانه: {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}؛ أي: بين لها طريق الفجور؛ لتحذره وتتجنب



الوقوع فيه، وبيّن لها طريق التقوى؛ لَتَلَزَمَهُ وتعمل به؛ بدليل قوله تعالى بعد ذلك: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}؛ أي: مَنْ زَكَّى نفسه بالتقوى والإيمان فاز وأفلح، ونال كرامة الله في الدنيا والآخرة، وَمَنْ دَسَّ نفسه بالكفر والعصيان خسر الدنيا والآخرة، وكان مِنَ الهالكين.

فجعل الله للإنسان إرادةً في اختيار أيّ الطريقين، ووعد المحسنين بالجنة، وتوعد المسيئين بالنار، كما قال تعالى: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}؛ أي: بينا له الطريقين: طريق الحق، وطريق الباطل، فإن لَزِمَ الحق كان من الفائزين، وإن لَزِمَ الباطل كان من الخاسرين، فمن سلك طريق الهدى وأخذ بأسبابه وفقه الله وأعانه، قال الله: «فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»، وَمَنْ سَلَكَ طريق الضلال واستحب العمى على الهدى، قال الله: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}، وقال: {فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صِعَقَةُ الْعَذَابِ أَلْهُونَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.

١٨٠ - هل الله يهدي الناس أم لا يهديهم؟

قال الله تعالى: {إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَى} [الليل: ١٢]، ودلت الآية على أن الله التزم على نفسه أن يهدي الخلق، وقال: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: ٢٥٨]، وقال: {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ} [آل عمران: ٨٦]، هل في ذلك تعارض أو تناقض في كلام الله؟



الجواب: ليس في ذلك أدنى تعارضٍ أو تناقضٍ، فمعنى قوله تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى}؛ أي: علينا أن نبينَ لهم طريقَ الهدى من الضلالِ بإرسالِ الرسلِ وإنزالِ الكتبِ، وهذه هدايةُ الإرشادِ والبيانِ.

وأما قوله تعالى: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}؛ فمن اختارَ الكفرَ والشركَ والمعصيةَ والبدعةَ على التوحيدِ والإسلامِ والطاعةِ والسُّنةِ فهذا يَحْتِمُ اللهُ على قلبه؛ لأنه ظالمٌ لنفسه عاصٍ لربه، فمثلُ هذا لا يستحقُّ الهدايةَ.

وهذه هي هدايةُ التوفيقِ والسدادِ، لا يملكُها إلا اللهُ، {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} {وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ}.

١٨١- هل كان النبيُّ محمدٌ ﷺ ضالًّا قبلَ البعثةِ أم كان على الفطرةِ حنيفًا

مسلمًا؟

قال الله تعالى: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى} [الضحى: ٧]، وقال: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم: ٣٠].

وكان قبلَ بعثته ﷺ يتعبَّدُ الليالي ذواتِ العددِ في غارِ حراءَ، ولم يعْبُدْ صنمًا، وكان موحدًا حتى نزلَ عليه جبريلُ وُبعِثَ نبيًّا، فهل كان مهديًّا أم ضالًّا؟ وهل هذا من التعارضِ في كتابِ الله؟



الجواب: ليس هناك أدنى تعارض؛ لأن الضلال له معانٍ في الشرع، قد يأتي بمعنى الحب الشديد، وقد يأتي بمعنى الغفلة عما تعلمه الآن، وقد يأتي بمعنى النسيان، وقد يأتي بمعنى الانحراف عن الهدى.

أما الضلال بمعنى الانحراف عن الهدى فهو مُحالٌ في حق جميع الأنبياء؛ لأن الله تعالى عصمهم قبل بعثتهم عن الشرك والكبائر باتفاق، والنبى محمد ﷺ كان معروفًا بالعدالة والاستقامة والصدق والأمانة قبل بعثته، مشهودًا له بذلك حتى من خصومه.

وأما الضلال بمعنى النسيان فهو كقوله تعالى في آية الدين: {وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمُ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى}؛ أي: أن تنسى إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى.

ويأتي الضلال بمعنى الغفلة عما علمه الإنسان، قال تعالى: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى}؛ أي: كنت غافلًا عن هذا العلم والوحي الذي أنعم الله عليك به بموجب النبوة والرسالة، فهداك الله له.

وهذا معنى صحيحٌ للآية، بدليل قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي



بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ؛ أي: كنت يا محمد غافلاً عن هذا العلم والوحي، الكتاب والإيمان، فقد علمك الله إياه؛ ليكون نوراً وهدايةً للخلق، وجعلناك تهدي وتُرشد به إلى الطريق المستقيم بالدعوة والبيان والتعليم والإرشاد.

وقال تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ}.

ويكون الضلال بمعنى الحب الشديد، فهو كقوله تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام: {إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [يوسف: ٨]؛ أي: في حب شديد ليوسف ﷺ، وكقوله تعالى عن النسوة في حق امرأة العزيز: {إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}؛ أي: حب شديد ليوسف ﷺ.

فمعنى قوله تعالى: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى}؛ أي: وجدك مُجِبًّا للهداية طالباً لها، فهذاك إياها، وعلمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيماً.

١٨٢- هل الذي يكذب هو الإنسان أم ناصيته؟

قال تعالى: {نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ} [العلق: ١٦]، أسند الكذب هنا إلى الناصية، وقال تعالى: {إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ



وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ} [النحل: ١٠٥]، وهنا أسندَ الكَذِبَ للإنسانِ نفسِه، فهل في ذلك تناقضٌ؟

الجواب: ليس في ذلك أدنى تعارضٍ ولا تناقضٍ، وذلك من وجهين:

الأول: عادةُ العربِ إطلاقُ البعضِ وإرادةُ الكلِّ، وهو كثيرٌ في كلامهم، وبه جاء القرآنُ العزيزُ، مثلُ قوله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ}، والمقصودُ: أبو لهبٍ نفسه وليس اليدَ فقط، وقوله تعالى: {ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ}: فعبرَ باليدِ عن كلِّ الإنسانِ؛ أي: ذلك بما قدَّمتم^(١).

الثاني: أثبت العلمُ الحديثُ أن جزءَ المنح الذي تحتَ الجبهةِ مباشرةً (الناصية) هو المسؤولُ عن الكذبِ والخطأ، وأنه مصدرُ اتخاذِ القرارات، فلو قُطِعَ هذا الجزءُ فصاحبه لا يستطيعُ أن يختارَ، ولا تكونَ له إرادةٌ مستقلة.

وهذا الجزءُ في الحيواناتِ ضعيفٌ وصغيرٌ، بحيث لا يملك القدرةَ على قيادتها وتوجيهها، وإلى ذلك أشار القرآن: {مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا}، وقال النبي ﷺ: «نَاصِيَتِي بِيَدِكَ»^(٢).

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي (ص ٣٩٥).

(٢) أخرجه أحمد (٣٧١٢)، والبزار (١٩٩٤).



ومن الفائدة: أن الله تعبدنا بالسجود، والسجود يكون بانحناء الناصية له سبحانه إلى الأرض، فيصل الدم إلى جميع أجزاء الدماغ فيغذيها، وهناك شعيرات دموية لا يصلها الدم إلا بالسجود^(١)، فسبحان الله رب العالمين!

١٨٣- هل القرآن نزل في ليلة القدر أم في الليلة المباركة؟

قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، وهي من رمضان، وقال: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ}، زعم بعض العلماء أنها ليلة النصف من شعبان، فهل في ذلك تعارض؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض؛ فليلة القدر التي هي في العشر الأواخر من رمضان هي الليلة المباركة، التي يُفَرَّقُ فيها كلُّ أمرٍ حكيمٍ، فقوله تعالى: {مُبْرَكَةٍ} هو وصفٌ لليلة القدر.

فيكون المعنى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، وهي الليلة المباركة.

أما قول بعض العلماء بأنها النصف من شعبان فهذا اجتهادٌ خاطئٌ منهم، ولا يُعْتَدُّ به، لقول الله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ}.

(١) موقع الراشدون ٢ / ٥ / ٢٠٢٢ شبكة الإنترنت، بعنوان الإعجاز العلمي في قوله تعالى: {نَاصِيَةٌ

كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ}.



١٨٤- هل الإنسان سيشهد على نفسه بأنه كفور؟ أم يحسب أنه مهتد؟

قال الله تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ} [العاديات: ٦-٧]، وقال سبحانه: {وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف: ١٠٤]، وقال: {وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ} [الزخرف: ٣٧]، هل هناك تعارض بين هذه الآيات؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارض، فالإنسان كنود في الدنيا بلسان حاله، حتى وإن ظن أنه يحسن صنعا، أو حسب أنه مهتد، وأما في الآخرة فيشهد على نفسه شهادة صريحة بكفره، قال تعالى: {وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} [الأنعام: ١٣٠]، وقال: {فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ}، وقال: {قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ} [الزمر: ٧١]، وعليه فلا تعارض ولا تناقض ولا إشكال في كلام الله رب العالمين.

١٨٥- هل الخاسر إنسان واحد أم كل إنسان غير مؤمن؟

قال الله تعالى: {وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ}، هل المخبر عنه إنسان واحد أم جماعة البشر، وهل هذا من التناقض والتعارض؟



الجواب: ليس هذا من التناقض ولا من التعارض في كلام الله تعالى؛ لأن الألف واللام هنا للاستغراق، فيصير المفرد بسببها صيغة عموم.

وعليه يكون المعنى: أن كلَّ إنسانٍ في خُسْرٍ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.

١٨٦ - هل الصلاة تدخل النار أم تركها هو الذي يدخل النار؟

قال الله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} [الماعون: ٤]، وقال عن المجرمين: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ} ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ}، فهل المصلون لهم الويل والنار؟ أم الذين لا يصلون؟ وهل في ذلك تعارض؟

الجواب: ليس في كلام الله أدنى تعارض؛ لأن تارك الصلاة متوعد بالنار قولاً واحداً، أما قوله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} فمتعلقة بما بعدها: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ}.

فصنف المصلين المتوعد بالنار هم المنافقون، يصلون رياءً وسُمةً، وهم في باطنهم كفارٌ بالصلاة وشرائع الإسلام، قال الله تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} ﴿١٤٢﴾ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا}، وقال الله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ



على استحالة التعارض والتناقض في كلام الرحمن



الْمُؤْمِنُونَ ﴿٢١٨﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}، فالمُصَلُّون من أهل الإيمان الخاشعين في صلاتهم هم أهل الجنة هم فيها خالدون، أما المنافقون الذين يُصَلُّون صلاة لا خشوع فيها ولا إيمان بها، وإنما هي صلاة ظاهرة لخداع المسلمين، فهؤلاء هم الساهون عن الصلاة، وهم أصحاب الويل والشبور.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم!

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين!



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١	مقدمة
٥	معنى تبديل الجلود في القيامة
٦	النطق وعدمه في القيامة
١٠	بيان الجمع بين تساؤل أهل القيامة وعدمه
١١	هل القرآن ذم المصلين أم غير المصلين؟
١٢	هل الإنسان خُلِقَ من تراب أم من طين أم من صَلْصَالٍ؟
١٤	هل الله هو ربُّ المشرق أم المشرقيين أم المَشارِق والمَغارب؟
١٥	يومٌ كألف سنة، ويومٌ مقداره خمسون ألفَ سنةٍ
١٧	ولا يكتُمون الله حديثًا
١٨	مدة مُكثِ الكفار في القبور حسبَ زعمهم
١٨	شهادة الرُّسُل على الأمم
١٩	رؤية الله بالأبصار
٢١	مَنْ أَوَّلُ المؤمنين؟
٢٢	مَنْ مِنْ هَؤُلَاءِ أَشَدُّ عَذَابًا؟
٢٣	طعام أهل النار
٢٥	هل الله مولى الكافرين؟
٢٦	المقسطون، والقاسطون
٢٧	ولاية المؤمنين بعضهم بعضًا
٢٨	سلطان الشيطان على عباد الله
٢٩	هل الله ينسى؟



فهرس الموضوعات



- ٣٠ عمى الكافر في الآخرة
- ٣١ «أنا» و«نحن»؛ في حق الله للتعظيم والتفخيم
- ٣٢ هل في القرآن ريب أم لا؟
- ٣٣ هل القرآن هدى للناس كافة أم للمتقين وحدهم؟
- ٣٤ هل النبي محمد ﷺ يهدي أم لا يهدي؟
- ٣٤ هل الكفار يمكن أن يؤمنوا أم لا؟
- ٣٦ هل الكافر مجبور على كفره أم باختياره؟
- ٣٧ اسم الموصول (الذي) يأتي للمفرد والجمع في لغة العرب
- ٣٨ هل المنافقون يسمعون ويبصرون ويتكلمون أم لا؟
- ٣٩ هل الأرض خلقت أولاً أم السماء؟
- ٤٠ هل هي سماء واحدة أم سموات؟
- ٤٢ هل الظن بمعنى الشك أم اليقين؟
- ٤٣ هل أفضل الناس بنو إسرائيل، أم أمّة محمد ﷺ؟
- ٤٥ هل حياة البنت هبة أم عذاب؟
- ٥٦ هل طعام بني اسرائيل كان واحداً أم أكثر؟
- ٤٧ هل الرسل منصورون أم أنهم مقتولون ومكذبون؟
- ٤٩ أيهم أظلم؟
- ٥٠ قول الله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلْبُونَ}
- ٥١ البيان للموقنين وحدهم أم للناس كافة؟
- ٥٢ هل الله يعلم الشيء قبل وقوعه أم لا؟
- ٥٣ كيف يكون الميت حياً؟
- ٥٤ هل الكفار يعقلون أو لا يعقلون؟



- ٥٥ هل مطلقُ الدم محرَّم أم المسفوحُ فقط؟
- ٥٦ هل الله يُكلِّمُ العصاةَ في القيامةِ أم لا؟
- ٥٧ هل القصاصُ حتمٌ لازمٌ أم أنه على الخيار؟
- ٥٨ هل الوصيةُ للوالدين والأقربين أم لا؟
- ٥٨ هل صيام رمضانَ على الحتمِ أم التخييرِ؟
- ٥٩ هل الأمرُ بالقتالِ مطلقٌ أم مقيَّدٌ باعتدائهم؟
- ٦٠ هل الله يأمر بالعفو عن الظالمِ أم بالانتقامِ منه؟
- ٦١ هل الردة تُحبط العملَ بإطلاقٍ أم باشتراطِ الموتِ عليها؟
- ٦٢ هل يحرمُ الزواجُ من كلِّ الكافراتِ أم بعضهنَّ؟
- ٦٣ هل للمطلقةِ عدةٌ أم لا؟ وما هي عدَّتُها على التحديد؟
- ٦٥ هل عدة المتوفى عنها زوجها سنة؟ أم أربعة أشهر وعشرة أيام؟
- ٦٦ هل هناك إكراهٌ في الدين أم لا؟
- ٦٩ هل الإنسانُ مؤاخَذٌ بوساوسِ النفسِ أم لا؟
- ٧١ هل القرآنُ متشابهٌ أم مُحكَّمٌ؟
- ٧٣ هل كان زكريَّا موقنًا بإجابةِ الله له بالولدِ أم شاكًّا؟
- ٧٣ هل الله وحده هو الخالقُ أم أن بعضَ الخلقِ يخلُقُ بعضًا؟
- ٧٥ هل مات عيسى عليه السلام أم لا؟
- ٧٧ هل كان إبراهيمُ عليه السلام حنيفًا مسلمًا من صِغَرِه أم كان مشركًا ثم أسلم؟
- ٧٩ هل الله يقبلُ التوبةَ أم لا يقبلُها؟
- ٨١ هل يُشدَّدُ العبدُ على نفسه في التقوى أم حسبَ استطاعته؟
- ٨٣ عددُ الملائكةِ في بدرٍ: هل كانوا ألفًا أم ثلاثة آلاف أم خمسة آلاف؟
- ٨٤ هل الغمُّ يُحزنُ أم لا يُحزنُ؟
- ٨٥ هل العدلُ بينَ الزوجاتِ ممكنٌ أم لا؟



فهرس الموضوعات



- ٨٦ هل الزانية تُحبس في البيت حتى الموت، أم تُجلد البكر وترجم الثيب؟
- ٨٧ هل يُجمع بين الأختين في النكاح؟ أم لا؟
- ٨٨ هل الزانية البكر تُجلد مئة جلدة أم خمسين جلدة؟
- ٨٩ هل شرع الأنبياء قبلنا شرع لنا أم لا؟
- ٩١ هل يرث أولو الأرحام أو الحلفاء؟
- ٩٢ هل السيئات من عند الله أم من عند الإنسان؟
- ٩٣ هل القاتل عمداً له توبة أم لا؟ وهل هو مخلد في النار أم لا؟
- ٩٥ هل ذبائح الكفار يحل أكلها أم لا؟ وهل ما لم يذكر اسم الله عليه حلال أم لا؟
- ٩٨ هل حكم النبي بين أهل الكتاب على التخيير أم الحتم؟
- ٩٩ هل شهادة الكافر مقبولة أم لا؟
- ١٠٠ هل الذي يجالس الخائضين في آيات الله آثم أم لا؟
- ١٠١ هل القرآن نزل لمكة وما حولها فقط؟ أم أنه للناس كافة؟
- ١٠١ هل عذاب الكفار في النار ممدودٌ بمدة ثم ينقطع أم هو خلودٌ أبدي؟
- ١٠٣ هل الله تعالى شاء الكفر والشرك أم لا؟
- ١٠٥ هل حرم الله الإحسان للوالدين أم لا؟
- ١٠٥ هل يُسألون في القيامة أم لا؟
- ١٠٦ هل في القرآن إشكالٌ لغوي؟
- ١٠٧ هل الله تعالى يأمر بالفحشاء والفسق؟
- ١٠٨ هل عصي موسى تحولت لشعبان كبير أم حية صغيرة؟
- ١٠٩ هل القلوب تخاف أم تطمئن عند ذكر الله؟
- ١١٠ هل نحن مأمورون باتباع النبي ﷺ في كل شيء، أم فيما يُحيينا فقط؟
- ١١١ هل كفار مكة عذبوا في حياة الرسول ﷺ أم لا؟
- ١١٢ هل هناك ولاية بين المؤمنين أم لا؟



- ١١٣ هل الأشهر الحرم يحرمُ فيها القتالُ أم لا؟
- ١١٥ هل أهل الكتاب من اليهود والنصارى كفارٌ أم مشركون؟
- ١١٧ هل جميعُ المسلمين مأمورون بالجهادِ أم صنفٌ معيّنٌ؟
- ١١٧ هل الداعي موسى وحده أم معه غيره؟
- ١١٨ هل الكافر يُعطى أجره كله في الدنيا أم لا، فإننا نرى منهم الشقيّ والسعيدَ في الدنيا؟
- ١١٩ هل ابن نوح الأكبر من أهله أم لا؟
- ١٢٠ هل إبراهيم ردّ السلام على الملائكة أم لم يردّ بسبب خوفه منهم؟
- ١٢٠ هل الأنبياء من البدو أم من القرى؟
- ١٢١ هل لكل أمة هادٍ ونذير أم لا؟
- ١٢٢ هل أهل الكتاب مؤمنون أم كفار؟
- ١٢٣ هل الكافر يموت في النار أم لا؟
- ١٢٤ هل أرض القيامة هي نفس أرض الدنيا أم لا؟
- ١٢٥ هل الكافر والضالّ يحملُ وزرَ نفسه فقط يوم القيامة، أم يحمل وزرَ غيره معه؟
- ١٢٦ هل الخمر حلالٌ أم حرامٌ؟ وهل هي من النعم؟
- ١٢٦ هل لإبليس سلطانٌ على أوليائه أم لا؟
- ١٢٨ هل الله مع المحسنين فقط أم مع الناس كافة؟
- ١٢٩ هل أهل الفترة يُعذبون في القيامة أم لا؟
- ١٣١ هل الكفار في القيامة يسمعون ويُبصرون ويتكلمون أم لا؟
- ١٣٢ هل المكره على الكفر مؤاخذٌ أم لا؟
- ١٣٣ هل كان الملك يأخذ كل سفينة غصبًا أم كان يأخذ السفينة الصالحة فقط؟
- ١٣٤ هل المؤمنون سيدخلون النار أم لا؟
- ١٣٦ هل الله أخفى الساعة بالفعل أم لا؟



- ١٣٧ هل كان موسى وهارون رسولين؟ أم كان أحدهما فقط هو الرسول؟
- ١٣٨ هل أكل آدم من الشجرة نسياناً أم عمداً؟
- ١٣٩ هل جميع المعبودات الباطلة حطب جهنم أم بعضها؟
- ١٤٠ هل الوحي محصور في توحيد الألوهية فقط أم بغيره من الشرائع؟
- ١٤١ هل جهاد الكفار مأذون فيه فقط أم هو واجب؟
- ١٤١ هل الأبصار تعمى عن الحق أم لا تعمى؟
- ١٤٢ هل للشيطان سلطان على الأنبياء أم لا؟
- ١٤٥ {رَبِّ أَرْجِعُونِ ۝} [المؤمنون: ٩٩] أهو رب واحد أم أكثر؟
- ١٤٦ هل أهل القيامة يتساءلون، وبينهم أنساب أم لا؟
- ١٤٩ هل المكث في القبور يوماً أم بعض يوم أم عشرة أيام؟
- ١٥٠ هل تزويج العفيف بالزانية، أو العفيف بالزاني حرام أم حلال؟
- ١٥١ هل الخبيثات للخبيثين والطيبات للطيبين أم لا؟
- ١٥٤ هل الحساب يحصل في يوم أم في خمسين ألف سنة؟
- ١٥٥ هل الجنة غرفة واحدة أم غرف كثيرة؟
- ١٥٦ هل قوم نوح كذبوا نوحاً فقط أم كذبوا جميع الرسل؟
- ١٥٨ هل المرسل لسليمان عليه السلام من ملكة سبأ رسول واحد أم جماعة؟
- ١٥٩ هل الأمم تحشر كلها إلى ربها؟ أم المكذبون فقط؟
- ١٥٩ هل الجبال ثابتة راسخة أم أنها تتحرك وتسير؟
- ١٦١ خطاب امرأة فرعون هل هو لفرد أو جماعة؟
- ١٦٢ هل خطاب موسى لزوجته فقط؟ أم لها ولغيرها؟
- ١٦٢ هل النبي يهدي أم لا يهدي؟
- ١٦٣ هل النبوة والكتاب في ذرية نوح أم في ذرية إبراهيم عليهما السلام؟
- ١٦٤ هل الخطاب للنبي ﷺ خاصة أم لجميع الأمة؟



- ١٦٦ هل يبرُّ المسلمُ الوالدَيْنِ المشركَيْنِ أم لا؟
- ١٦٨ هل الوالدُ يجزي عن وَلَدِهِ أم لا في القيامة؟
- ١٦٩ هل الذي يقبضُ الأرواحَ هو الله، أم ملكُ الموت، أم ملائكةُ آخرون؟
- ١٧٣ هل للمرأةُ أكثرُ من قلبٍ في بدنِها أم لها قلبٌ واحدٌ؟
- ١٧٤ هل النبيُّ محمدٌ ﷺ أبو المؤمنين أم لا؟
- ١٧٥ هل أزواجُ النبيِّ ﷺ كنَّ له حلالاً أم لا؟
- ١٧٦ هل الإنذارُ والتذكيرُ عامٌّ لكلِّ الناسِ؟ أم خاصٌّ بالمؤمنين؟
- ١٧٨ هل يونسُ عليه السلامُ نُبِذَ بالعراءِ أم لا؟
- ١٧٩ هل المُسرِفون في المعاصي لهم توبةٌ أم هم في النار؟
- ١٨٠ هل الملائكةُ تستغفرُ لكلَّ مَنْ في الأرضِ أم للمؤمنين فقط؟
- ١٨٠ هل فرعونُ وقومُه المكذبون يُصيبُهُم بعضُ العذابِ أو كلُّه؟
- ١٨١ هل الإلهُ واحدٌ أم اثنان؟
- ١٨٢ هل الكافرُ في العذابِ عزيزٌ كريمٌ أم مُهانٌ ذليلٌ؟
- ١٨٣ هل النبيُّ ﷺ يعلمُ ما يُفعلُ به أم لا؟
- ١٨٤ هل مؤمنو الجنِّ سيدخلون الجنةَ أم لا؟
- ١٨٥ هل في الجنةِ نهرٌ واحدٌ؟ أم أنهارٌ متعددة؟
- ١٨٦ هل هو ضيفٌ واحدٌ أم جماعةٌ؟
- ١٨٦ هل النبيُّ ﷺ ينطقُ عن اجتهادٍ منه؟ أم عن الوحيِ فقط؟
- ١٨٧ هل عاقرُ الناقةِ واحدٌ أم مجموعةٌ من الناسِ؟
- ١٨٨ هل تعذيبُ أهلِ النارِ من النعمِ؟
- ١٨٩ هل اللهُ تعالى أقسمَ أم لم يُقسمْ؟
- ١٩٠ هل اللهُ فوقِ سمواته مستوٍ على عرشه أم أنه معنا أينما كنا؟
- ١٩٢ هل اللهُ تعالى يهدي ويغفرُ أم لا؟



فهرس الموضوعات



- ١٩٢ هل الله صَدَقَ المنافقين في شهادتهم بأن محمدًا رسولُ الله؟ أم كَذَبَهُم؟
- ١٩٣ هل إذا استغفرَ النبي ﷺ للمنافقين أكثرَ من سبعين مرةً يُغْفَرُ لهم أم لا؟
- ١٩٤ هل الشيطانُ وسواسٌ؟ أم خناسٌ؟
- ١٩٤ هل الخطابُ للمُفردِ أم للجمع؟
- ١٩٥ هل مريمُ مذكَّرٌ أم مؤنثٌ؟
- ١٩٦ هل طعامُ أهلِ النارِ من غِسلينِ أم من صَريعٍ أم من زَقُومٍ؟
- ١٩٧ هل نوحٌ كان يعلمُ الغيبَ أم لا؟
- ١٩٨ هل قيامُ الليلِ واجبٌ أم ليس بواجبٍ؟
- ١٩٩ هل أهلُ الجنةِ يُحَلَّونَ فيها أساورٌ أم ذَهَبٌ أم مِن فضَّةٍ؟
- ١٩٩ هل أهلُ النارِ ينطقون ويعتذرون أم لا؟
- ٢٠٠ هل التنايُزُ بالألقابِ جائزٌ أم حرامٌ؟
- ٢٠١ هل القرآنُ كلامُ الله أم كلامُ جبريلَ؟
- ٢٠٢ هل المحاسبُ نفسٌ واحدةٌ أم كلُّ الأنفسِ؟
- ٢٠٣ هل الكافرُ يؤتى كتابَه بِشِمَالِه؟ أم مِن وراءِ ظهره؟
- ٢٠٤ هل الكفارُ يُمهلون أم يُحاربون ويُقاتلون؟
- ٢٠٤ هل القرآنُ محفوظٌ أم يُنسَى؟
- ٢٠٥ هل التذكُّرُ بالقرآنِ يكونُ على العموم أم عندَ مَظِنَّةٍ نفعِه؟
- ٢٠٧ هل هو مَلَكٌ واحدٌ أم صُفوفٌ مِنَ الملائكة؟
- ٢٠٨ هل المسكينُ ليس عنده شيءٌ أم عنده ولكن لا يكفيه؟
- ٢٠٨ هل الإنسانُ مُجبرٌ من الله في الفجورِ والتقوى أم أنه صاحبُ اختيارٍ؟
- ٢٠٩ هل الله يُهدي الناسَ أم لا يهديهم؟
- ٢١٠ هل كان النبي محمدٌ ﷺ ضالًّا قبلَ البعثة أم كان على الفطرة حنيفًا مسلمًا؟
- ٢١٣ هل الذي يكذبُ هو الإنسانُ أم ناصيته؟



الدليل والبرهان

٢٢٧

- ٢١٤ هل القرآنُ نزل في ليلةِ القدرِ أم في الليلةِ المباركة؟
- ٢١٥ هل الإنسانُ سيشهدُ على نفسه بأنه كفورٌ؟ أم يحسب أنه مُهتدٍ؟
- ٢١٦ هل الخاسرُ إنسانٌ واحدٌ أم كلُّ إنسانٍ غيرِ مؤمنٍ؟
- ٢١٧ هل الصلاةُ تُدخِلُ النارَ أم تركُها هو الذي يُدخِلُ النارَ؟

